المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة والاحتساب

التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة
في ضوء الكتاب والسنة

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة والاحتساب

إعداد
أحمد بن عبدالله بن سعد الفالح

إشراف
د. أحمد بن إبراهيم بن عطية دهشان
الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والاحتساب

العام الجامعي ١٤٣٣هـ - ١٤٣٤هـ

إهـــــداء:

إلى والدي الذي غرس في نفسي حب العلم والمعرفة، وحثني عليهما منذ الصغر، فأعطى وشجع ودعم، ولازمني بالنصح والتوجيه والإرشاد والدعاء، جزاه الله خير ما جزى والدٍ عن ولده.

إلى والدتي أمد الله في عمرها على طاعته، إلى من هي وراء كل نجاح أحوزه بدعائها وتربيتها، لا أجد ما أقول لكما إلا ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء: ٢٤.

إلى إخوتي الذين ساهموا في هذا الإنجاز بتوجيهاتهم، ودعائهم، وأخص أخي عمر، جزاهم الله عني خير الجزاء.

إلى أُنسي ورفيقة دربي الغالية، التي ضحت وصبرت ووفرت لي الأجواء المناسبة منذ قبولي في برنامج الماجستير، زوجتي الحبيبة المخلصة، جزاها الله عني خير الجزاء.

إلى ابني وقرة عيني عبدالله، وفقه الله في الدارين.

إلى الذي وقفوا بجواري يمدونني بعونهم وتأييدهم وتشجيعهم.

أهديكم هذا العمل المتواضع عسى الله أن يجعله علماً نافعاً وعملاً متقبلاً.

شكر وتقدير:

يتقدم الباحث بـــبالغ الامتـــــنان، وجزيـــــــل العرفان إلى كل من وجهني، وعلمني، وأخذ بيدي في سبيل إنجاز هذا البحث، وأخص بذلك مشرفي فضيلة الدكتـــــور/ أحمد بن إبراهيم بن عطية دهشان، الذي قوَّمَ، وتابع، وصوَّبَ، بحسن إرشاده لي في كل مراحل البحث، والذي وجدت في توجيهاته حرص المعلم، التي تـــــؤتي ثمارها الطيـــــــبة.

كما أتـــقـــدم بجـــزيل الشكر إلى الأستـــاذين الكريـــمين عضوي لجـــــنة المناقشة، الدكتور/ محمد بن خالد البداح، والدكتور/ محمود بن عبدالهادي دسوقي، على جهودهم في قراءة الرسالة وتصويبها؛ وقد أفدت من توجيهاتهما، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساندني بدعواته الصادقة، أو تمنياته المخلصة.

أشكرهم جميعاً وأتمنى من الله عز وجل أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

فإن من سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه أن جعلهم مختلفين في أشياء كثيرة: في ألسنتهم وألوانهم، وفي طبائعهم وميولهم النفسي والعقلي والعاطفي، وفي آرائهم ونظراتهم في الدين والنفس والمجتمع وما يحيط بهم، قال تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[1].

ومن ثم فإن أهل الإيمان مطالبون برد خلافاتهم إلى كتاب الله جل وعلا، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وليس إلى أهوائهم وما يوافق عقولهم على كل حال؛ يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2] ولئن كان هذا التوجيه الرباني بين الإخوة من المؤمنين، فإنه أولى إذا كان مع أهل الخلاف والنزاع، إذ النفس البشرية يعتريها من النقص وحب الانتصار للنفس ما قد يحيد بها عن جادة الطريق القويم، وصراط الله المستقيم.

لذا فالكتاب والسنة في التعامل مع المخالفين، هما قاعدة أهل الحسبة؛ ينطلقون منهما ليسيروا بعملهم في الاتجاه الصحيح؛ ومتى ما تم الابتعاد عن هذا المنهج الرباني، فإنه يقع

---

[1] سورة هود، آية رقم ١١٩.

[2] سورة النساء، آية رقم ٥٩.

الاضطراب في الموازين؛ مما يؤدي إلى العدوان على المخالفين، وظلمهم، وبخسهم حقوقهم؛ وقد حذر الحق تبارك وتعالى من مثل ذلك في قوله جل شأنه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

كما أنه لا تتحقق الثمرة المرجوة من الاحتساب بإقامة شرع الله، وصلاح المخالف، إذا كان التعامل معه بعيداً عن هذا المنهج، بل يقع المُحْتَسِبُ في الإثم والزلل إذا خالف مقصود الشارع الحكيم في هذا التعامل، لذا كان من الأهمية بمكانٍ إبراز ضرورة التزام أهل الحسبة بالكتاب والسنة في التعامل مع مخالفيهم، وبيان أصناف المخالفين، والمنهج الشرعي في التعامل معهم، وذكر وسائل، وأساليب، ومعوقات، وآثار التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

أسباب اختيار الدراسة:

١/ حاجة أهل الحسبة لمعرفة منهج الكتاب والسنة في التعامل مع المخالفين لهم.

٢/ أهمية التزام أهل الحسبة بمنهج الكتاب والسنة في التعامل مع مخالفيهم.

٣/ ضرورة بيان أصناف المخالفين لأهل الحسبة، لمعرفة كيفية التعامل معهم.

٤/ حاجة أهل الحسبة إلى الثبات والتثبيت، فبالكتاب والسنة يحصل المراد.

٥/ بالكتاب والسنة يتبين الموقف الصحيح لأهل الحسبة في كل شبهة تثار، وحقيقة موقف المخالفين لهم، فيدفعون بهما كيد أعدائهم.

---

[1] سورة المائدة، آية رقم ٨.

أهداف الدراسة:

١/ إبراز أهمية التزام أهل الحسبة بالكتاب والسنة في التعامل مع المخالفين لهم.

٢/ بيان أصناف المخالفين لأهل الحسبة.

٣/ بيان منهج الكتاب والسنة في التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

٤/ بيان وسائل، وأساليب التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

٥/ الكشف عن معوقات التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

٦/ إبراز آثار التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

تساؤلات الدراسة:

١/ ما أهمية التزام أهل الحسبة بالكتاب والسنة في التعامل مع المخالفين لهم.

٢/ ما أصناف المخالفين لأهل الحسبة.

٣/ ما منهج الكتاب والسنة في التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

٤/ ما هي وسائل وأساليب التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

٥/ ما معوقات التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

٦/ ما آثار التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

الدراسات السابقة:

أولاً/ الحسبة والمحتسبون في الإسلام[1]، وقد اشتملت هذه الرسالة على الفصول التالية: الفصل الأول: الحسبة في الإسلام، وذكر تعريفها وتطورها ومهمة المحتسب وصفاته، وقد جاءت في المبحث العاشر من الفصل الأول، وتناول فيها الصفات الآتية: العلم، الأمانة، الصبر، اللين والرفق، التيسير والتبشير، النظر للمصالح والمفاسد، الاستطاعة، وهذا ما له علاقة بهذه الدراسة، من حيث إنها ذكرت جملة من الأساليب التي تستخدم أيضاً في التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة، والفصل الأول كله يقع في حوالي ثلاثين صفحة (من ١٥-٤٧).

الفصل الثاني: وتحدث فيه عن الحسبة العملية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو كذلك ما له صلة بهذه الدراسة، وبه جملة من احتساب النبي صلى الله عليه وسلم، كاحتسابه صلى الله عليه وسلم على العصاة بهجرهم وحبسهم في التهمة، واحتسابه في مجال العقيدة، والعبادة، والصلاة، والتقصير في أداء الزكاة، وعلى المتشبهين، ويقع في الصفحات من (ص ٥٠ – ١٠٤).

٣ -الفصل الثالث: وذكر فيه الحسبة العملية في حياة العلماء،(من ص١٠٩ – ١٨٠).

والفرق بين الدراستين، أن رسالة الحسبة في الإسلام تناولت تطور الحسبة ومهمة المحتسب، وصفاته بوجه عام، وكذلك تطرقت إلى الحسبة العملية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم مع أصناف من المخالفين له، وسيتناول هذا البحث بإذن الله تعالى بيان أصناف هؤلاء المخالفين، والمنهج الشرعي في التعامل معهم، وأساليب، وأبرز المعوقات، والآثار في التعامل مع هذه الأصناف.

---

[1] رسالة ماجستير، لطارق بن محمد الطواري، مطبوعة دار النفائس، ط١، ١٤١٢هـ.

ثانياً/ الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب[1]، وتحدثت هذه الرسالة عن الآتي:

الباب الأول: تحدث فيه الباحث عن تعريف الحسبة وحكمها والتشريع الفقهي للحسبة وتعريف المحتسب وشروطه وآدابه وأعوانه وصلاحياته التعزيرية والمحتسب عليه والمقارنة بين الحسبة وغيرها من الولايات الأخرى كالقضاء والمظالم (وذلك من صفحة ٥١ – ١٩٤)

الباب الثاني: تحدث عن الأهداف العامة للحسبة (من صفحة ١٩٥-٤٨٨) وفيه بيان لأهمية الحسبة من خلال هذه الأهداف.

الباب الثالث: تحدث عن تطور وسائل وأساليب الحسبة على مر العصور (وذلك من صفحة ٤٨٩ – ٧١٥).

الباب الرابع: تحدث عن الحسبة في هذا العصر (الواقع والطموح) (وذلك من صفحة ٧١٨ – ٨٦٠).

ويتضح أن هذه الرسالة بينت أهمية الحسبة في الإسلام من خلال إبراز أهدافها، كما تطرق الباحث لآداب وشروط وصفات المحتسب، وكان حديثه عن الصفات مختصراً، فتحدث عن العدالة في خمس صفحات، ثم تحدث عن صفة الصبر في صفحتين، ثم عن صفة الرفق في صفحة واحدة، وبه جملة من أساليب التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة، لكن الحديث عنها كان على وجه العموم، وهذا البحث سيتناول بإذن الله الحديث عما يُقوم عمل أهل الحسبة حال احتسابهم على المخالفين لهم، من حيث بيان أصناف المخالفين لأهل الحسبة،

[1] رسالة دكتوراه، د. علي بن حسن بن علي القرني، مكتبة الرشد ــ الرياض ــ ط١، ١٤١٥هـ.

وأبرز الوسائل، والأساليب، وبيان جملة من المعوقات التي تعيق تعاملهم مع هؤلاء المخالفين.

ثالثاً/ فقه إنكار المنكر[1]، وتحدثت هذه الرسالة عن الآتي:

الفصل الأول: شروط المنكر الموجب للحسبة، ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول: شروط المنكر الموجبة للحسبة المتفق عليها.

المبحث الثاني: شروط المنكر الموجبة للحسبة المختلف فيها. وذلك فيما يقارب خمساً وثلاثين صفحة.

ثم ذكرت هذه الدراسة في الفصل الثاني: الشروط اللازم توفرها في المحتسب عليه، وذلك فيما يقارب عشرين صفحة، وفيه مبحثان:

وذكرت في المبحث الأول: الشروط اللازم توافرها في تارك المعروف للاحتساب عليه.

وفي المبحث الثاني: ذكرت شروط فاعل المنكر.

الفصل الثالث: صفات المحتسبين، ومنها العلم بأحكام الحسبة، الأمانة، الفطنة، عدم الأخذ بالثأر، الحلم مع الحزم، القدوة الحسنة، سرعة اتخاذ القرار، العدل، الإلمام بوسائل التحقيق، الشجاعة.

الفصل الرابع: ضوابط إنكار المنكر، وذكرت منها: اعتبار القرائن، والأخذ بشواهد الأحوال في إنكار المنكر، والبدء بالأهم فالمهم في مسألة الإنكار، والنظر فيما يترتب عليه

---

[1] أصل الكتاب رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لبدرية بنت سعود بن محمد البشر.

الإنكار، والاختلاف في كيفية الاحتساب باعتبار المحتسب عليه، ثم تطرقت إلى درجات الاحتساب وذكرت: النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله، ثم السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن، ثم التغيير باليد، ثم التهديد والتخويف، فالضرب والحبس، ثم شهر السلاح واتخاذ الأعوان، وذلك فيما يقارب تسعين صفحة، وهذا ما له علاقة بهذه الدراسة من حيث بيان بعض الأساليب في التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

ويتضح بأن الدراسة ذكرت جملة من صفات أهل الحسبة، كالتعامل بالأمانة، وعدم الأخذ بالثأر، والحلم مع الحزم، والقدوة الحسنة، وسرعة اتخاذ القرار وعدم التردد، ولا شك أن ذلك مما يقوم عمل المحتسب حال احتسابه على مخالفيه، وذلك فيما مجموعه اثنتان وعشرون صفحة فقط.

منهج الدراسة:

سوف يستخدم الباحث بإذن الله المنهج الوصفي (الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات، ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة)[1].

[1] مناهج البحث العلمي،د. أحمد بدر، ص٢٣٤ وكالة المطبوعات ـــ الكويت ـــ ط١، ١٩٧٨م.

تقسيمات الدراسة:

الفصل التمهيدي وفيه:

أولاً/ التعريف بأهم مفردات عنوان الدراسة.

ثانياً/ بيان المراد بأهل الحسبة في هذا البحث.

ثالثاً/ أهمية التزام أهل الحسبة بالكتاب والسنة في التعامل مع المخالفين لهم.

الفصل الأول/ أصناف المخالفين لأهل الحسبة.

المبحث الأول/ أصناف المخالفين لأهل الحسبة من غير المسلمين.

المطلب الأول/ المشركون.

المطلب الثاني/ أهل الكتاب.

المبحث الثاني/ أصناف المخالفين لأهل الحسبة من المسلمين.

المطلب الأول/ المنافقون.

المطلب الثاني/ المتكبرون والمعاندون.

المطلب الثالث/ أدعياء الحرية.

المطلب الرابع/ أهل الشهوات والمعاصي.

المطلب الخامس/ الجاهلون بأحكام الحسبة، وأهميتها، ومقاصدها.

الفصل الثاني/ التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

المبحث الأول/ منهج التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

المطلب الأول/ تعريف المنهج لغة، واصطلاحاً.

المطلب الثاني/ منهج التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

المبحث الثاني/ وسائل التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

المطلب الأول/ تعريف الوسائل لغة، واصطلاحاً.

المطلب الثاني/ وسائل التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

الفصل التمهيدي

ويشتمل على:

أولاً/ التعريف بأهم مفردات الدراسة.

ثانيا/ المراد بأهل الحسبة.

ثالثاً/ أهمية التزام أهل الحسبة بالكتاب والسنة في التعامل مع المخالفين.

أولاً/ التعريف بأهم مفردات الدراسة:

لكي يكون القارئ على دراية بهذه المصطلحات المبثوثة في هذا البحث، والتي تتردد كثيراً، فقد رأيت أن أبدأ بها لتكون كالمفاتيح بيد القارئ يفتح بها ما ينغلق عليه من معانٍ، وأركز على أهم المصطلحات.

١. التعامل:

أصل العمل في لغة العرب: المهنة والفعل[١].

وقال الراغب الأصفهاني: ((العمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخص من الفعل، لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلما ينسب إلى ذلك، و لم يستعمل العمل في الحيوانات إلا في قولهم: البقر العوامل، والعمل يستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة))[٢].

ولذلك يقول الكفوي: ((العمل لا يقال إلا فيما كان عن فكر وروية ولهذا قرن بالعلم، حتى قال بعض الأدباء: ((قلب لفظ العمل عن لفظ العلم تنبيهاً على أنه من مقتضاه))[٣].

ويقال: عامله: أي تصرف معه في بيع ونحوه.

وتعاملا: عامل كل منهما الآخر.

وأعمل ذهنه في كذا: شغله به وفكر فيه[٤].

وبناء على ما سبق: فالعمل يطلق على مطلق التصرف ولا سيما ما كان عن قصد وعن إعمال ذهن وفكر.

---

[١] القاموس المحيط، للفيروز آبادي، فصل العين، مادة عمل، ص١٣٣٩، دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ.

[٢] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ص٣٤٨، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٩م.

[٣] الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ص٦١٦، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨م.

[٤] انظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص٦٢٨، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.

ومن هنا كان مرادي من التعامل في هذا البحث: التعامل مع المخالفين في دائرة الفكر والنظر والعلم والاعتقاد.

وسواءً أكان التعامل يتم بأسلوب مباشر بين المتعاملين كما في المناظرات وبعض المناقشات وإنكار المنكر.

أم بأسلوب غير مباشر: كما في الردود والمناقشات والمعاملات الفكرية الأخرى التي تنشأ في الغالب بين أطراف غير محددة، بحيث يكون التركيز على الأفكار والآراء بقطع النظر عن أصحابها إما لأنهم مجهولون أو غير محددين، أو لأن المتعامل لا يريد الدخول في مواجهة مع أحد.

٢. المخالفون:

المخالف: اسم فاعل من خالف يخالف.

وأصل الكلمة من خلف ولها عدة معانٍ.

أ. تقول: خَلفَ الشيء خُلوفاً: تغير، ومنه سمي خُلوف فم الصائم.

ب. والخَلْف: الرديئ من القول.

ج. والخِلْف: المختلف كالخِلْفة واللجوج.

د. والخِلْف: الاسم من الاختلاف، أو مصدر الاختلاف: أي التردد.

هـــ. والمخالفة: التخلف والخروج عن الشيء، قال تعالى ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾[١]؛ ومنه سمي شجر الصفصاف بشجر الخلاف، لأنه نبت مخالفاً لأصله.

---

[١] سورة النور، آية رقم ٦٣.

و. وتقول: تخالف القوم واختلفوا: إذا ذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر وهو ضد الاتفاق؛ ذلك عن المعنى اللغوي[1].

أما المخالف في الاصطلاح فهو:

من يختلف عنك باعتقاد أو رأي أو سلوك؛ سواءً أكانت هذه المخالفة تقتضي الضدية كالإيمان والكفر، أو التوحيد والشرك، أو الاتباع والابتداع، أو الحل والحرمة، أو الصحة والفساد...الخ[2].

٣. الحسبة:

أ. الحسبة لغة:

بالكسر اسم من الاحتساب، كالعدة من الاعتداد[3].

تأتي الحسبة في اللغة بمعانٍ متعددة منها:

* طلب الأجر[4]:

وفي الحديث ((**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**))[5].

* الاختبار:

يقال: احتسب فلاناً، أي اختبر وسَبَرَ ما عنده، والنساء يحتسبن ما عند الرجال لهن أي يختبرن[1].

---

[1] انظر: المفردات في غريب القرآن، ص١٥٥، (مرجع سابق)، وانظر: المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ص١٧٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٥م، والقاموس المحيط، باب الفاء فصل الخاء، مادة خلف، ص١٠٤٢، (مرجع سابق).

[2] انظر: فقه التعامل مع المخالف، د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي، ص١٦، دار الوطن، الرياض، ط١، ت: بدون.

[3] لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي، ٧٩/٢، دار بيروت، ط١، عام ١٩٩٧م.

[4] انظر: المرجع السابق نفسه، ٧٩/٢، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي ص٩٥، (مرجع سابق).

[5] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان، حديث رقم ٣٨، ١٥/١. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب الترغيب في قيام رمضان، حديث رقم ١٨١٧، ١٧٦/٢.

* الإنكار:

يقال: (احتسب فلان على فلان: أنكر عليه قَبيحَ عمله)[2]، (ومنه المحتسب)[3] الذي ينكر على الناس قبيح أعمالهم.

* الظن:

ومنه قول الله تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[4]، وقوله تعالى﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾[5]. أي: (لا يظنه كائناً)[6].

ب. الحسبة اصطلاحاً:

عرف العلماء الحسبة بعدة تعريفات منها:

* تعريف الماوردي رحمه الله:

(هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله)[7].

---

[1] انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي، ٤٢٤/١، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١١م، وانظر لسان العرب، لابن منظور، ٨٠/٢، (مرجع سابق).

[2] انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي، ٤٢٣/١، (مرجع سابق)، وانظر: لسان العرب، لابن منظور، ٨٠/٢، (مرجع سابق).

[3] القاموس المحيط، للفيروز آبادي، باب الباء فصل الحاء، ص٩٥، (مرجع سابق).

[4] سورة الطلاق، آية رقم ٢ـــ٣.

[5] سورة الزمر، آية رقم ٤٧.

[6] لسان العرب، لابن منظور، ٧٨/٢، (مرجع سابق).

[7] الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد الماوردي، خرج أحاديثه وعلق عليه خالد بن عبداللطيف السبع العلمي، ص٣٩١، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٥هــ، وانظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، صححه وعلق عليه محمد بن حامد الفقي، ص٢٨٤، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هــ.

* تعريف الغزالي رحمه الله:

(الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر)[1].

* تعريف ابن خلدون رحمه الله:

(وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[2]، ويشير في تعريفه إلى ولاية الحسبة، التي يُعيَّن لها المحتسب من قبل ولي الأمر.

ويذهب الباحث إلى ما ذكره الإمام الماوردي في تعريفه للحسبة فهو أشملها وأدقها، فالتعريف الثاني اقتصر على النهي عن المنكر ولم يذكر الأمر بالمعروف، والثالث أهمل الاحتساب كشعيرة دينية واجبة على كل مسلم، إذ حصر الحسبة كوظيفة، كما أنه لم يبين متى يكون الاحتساب.

[1] إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، ٤١/٣، مكتبة كرياطة فوترا، سماراغ، إندونيسيا، ط: ب، ت:ب.

[2] مقدمة ابن خلدون، تحقيق المستشرق الفرنسي إتيان مارك كاترمير، ٤٠٥/١-٤٠٦، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ت: ب.

ثانياً/ المراد بأهل الحسبة:

أهل الحسبة ينقسمون إلى قسمين:

الأول: من يجب عليهم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوباً عينياً، وهم المكلفون بهذه المهمة من قبل ولي أمر المسلمين[١]؛ أو إذا لم يوجد من يقوم بهذا الأمر إلا هو، أو انفرد بعلم في المسألة، فإنها تصبح في حقه فرض عين.

الثاني: من يجب عليهم وجوباً كفائياً، وهم المتطوعون[٢].

ولا شك أن بين المحتسب المكلف، والمحتسب المتطوع فروقاً في القيام بمهمة الاحتساب، وقد نص عليها العلماء الذين صنفوا في علم الحسبة[٣].

وأما المحتسب فيعرف بأنه: ((مسلم يسعى لتغيير المنكر وإقامة المعروف، وفقاً لمنهج الشريعة، امتثالاً لأمر الله وطلباً للثواب، متولياً ومتطوعاً))[٤].

فأهل الحسبة هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم من الدعاة إلى الله على بصيرة، والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

فيكون المراد بأهل الحسبة في هذا البحث: القائمون بالحسبة، سواءً أكان ذلك عن طريق التكليف من ولي الأمر، أم على سبيل القيام به تطوعاً.

---

[١] انظر الأحكام السلطانية، للماوردي، ص٢٩٩، (مرجع سابق).

[٢] المرجع السابق نفسه، ص٢٩٩.

[٣] انظر هذه الفروق في كتاب الأحكام السلطانية، للماوردي ص٢٩٩ ــ ٣٠٠، (مرجع سابق). وكتاب نصاب الاحتساب لعمر بن محمد السنامي، تحقيق مريزن بن سعيد عسيري، ص١٠٠، دار الوطن، ط١، ١٤١٤هـ، وكتاب الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب، لعلي بن عوض القرني، ١/٨٩ ــ ٩٣، مكتبة الرشد، الرياض،ط١، ت: ب.

[٤] الحسبة في الماضي والحاضر، ١/٨٨، (مرجع سابق).

ثالثاً/ أهمية التزام أهل الحسبة بالكتاب والسنة في التعامل مع المخالفين.

لا ريب أن أحوج الناس إلى الالتزام بكتاب الله تعالى وتدبر آياته وفهم معانيه واستنباط الأحكام منه، وكذا السنة النبوية الشريفة، هم القائمون بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولا شك أن المحتسب لا يكون ناجحاً في عمله ومسدداً إلا إذا كان وفق المنهج الشرعي؛ كما أن في معرفة أهمية هذا الالتزام حث للنفس على عدم الخروج عنه، إذ يعتريها أحياناً من النقص ـــ خاصة في التعامل مع المخالفين ـــ ما قد تخرج به عن مراد الله ورسوله، كحب الذات والانتصار لها، فيقع المحتسب في الخطأ والزلل، فيفسد ولا يصلح، ويهدم ولا يبني.

وأهمية هذا الالتزام ما يلي:

١. تحقيق الاتباع لسيد المحتسبين صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١]، ووجوب الاتباع وحرمة الابتداع قاعدة عامة من قواعد ديننا الحنيف، بل إن العمل لا يقبل من أي عاملٍ إن خالف ذلك، لعموم قوله صلى الله عليه وسلم ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**))[٢]، وهذا الاتباع من شأنه أن يُبَصر أهل الحسبة بكيفية التعامل مع مخالفيهم على الوجه الأمثل، فالبصيرة تُستمد من القرآن العظيم، يقول الله عز وجل﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٣] ويقول تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ

---

[١] سورة الأحزاب، آية رقم ٢١.

[٢] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم ٢٦٩٧، ٢٤١/٣. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ومحدثات الأمور، حديث رقم ٤٥٨٩، ١٣٢/٥.

[٣] سورة الجاثية، آية رقم ٢٠.

مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]، ويقول صلى الله عليه وسلم ((**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**))[2].

٢. استبانة سبيل المجرمين، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[3] وسبيلُ المجرمين: طريقهم وسيرتُهم في الظلم والحسد والكبر واحتقار الناس والتصلب في الكفر[4]، وقرئ بنصب السبيل[5] على أن الفعل متعد وتاؤه للخطاب أي: ((ولتستوضح أنت يا محمد سبيلَ المجرمين، فتعاملهم بما يليق بهم))[6].

والله تعالى بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصله، وسبيلَ المجرمين مفصلة؛ فالعالمون بالله وكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة[7].

---

[1] سورة الأعراف، آية رقم ٢٠٣.

[2] رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم ١٧١٨٢، ١٢٦/٤. وابن ماجه في سننه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم ٤٣، ٢٩/١. وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦٤٨/٢، مكتبة المعارف ـــ الرياض ـــ ط٢، ١٤١٥هـــ.

[3] سورة الأنعام، آية رقم ٥٥.

[4] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، ٢٦٠/٧، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١ ١٩٨٤م.

[5] وهي قراءة نافع كما في كتاب السبعة في القراءات، لأحمد بن موسى بن مجاهد التميمي، تحقيق: د. شوقي ضيف، ص٢٥٨، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠.

[6] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ٣٧٣/٢، دار الطباعة المصرية، القاهرة، ط١، ١٢٧٥هـــ.

[7] انظر: الفوائد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عامر بن علي ياسين، ص٢٥٥ ـــ ٢٥٦، دار ابن خزيمة، ط٢، ١٤١٩هـــ.

٣. إن أعظم سبيل لحماية أهل الحسبة من كيد الشيطان، هو الالتزام بالكتاب والسنة، خصوصاً في التعامل مع المخالف، لأن حظوظ النفس قد تطغى، فيزل المحتسب عن أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، فيأثم ولا يؤجر، ويهدم ولا يبني.

والشيطان يعمل على هذا كي يخرجنا عن هذا الصراط القويم، فيقع الظلم والبغي على المخالف، وهذا ما نهانا الله عز وجل عنه فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1] فأهم ما يجب أن على أهل الحسبة عند التعامل مع المخالف: الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، حتى لا تختل الموازين عندهم، ويكون عملهم في الاتجاه الصحيح، قال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] وقد شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فخط خطاً ثم قال ((**هذا سبيل الله مستقيماً**)) وخط عن يمينه وشماله ثم قال ((**هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**)) ثم قرأ صلى الله عليه وسلم ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[(3)][(4)].

---

[1] سورة المائدة، آية ٨.

[2] سورة الأنعام، آية ١٥٣.

[3] سورة الأنعام، آية ١٥٣.

[4] رواه أحمد في مسنده حديث رقم ٤٤٣٧، ٤٥٣/١. ورواه الدارمي في سننه، باب كراهية أخذ الرأي، حديث رقم ٢٠٢، ٧٨/١. ورواه ابن ماجة في سننه، كتاب أبواب السنة، باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم،

٤. حاجة أهل الحسبة إلى الثبات والتثبيت، فبالكتاب والسنة يحصل المراد، كما قال الله تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] أي: ((ما نثبت به فؤادك، فلا تجزع من تكذيب من كذبك من قومك، وردَ عليك ما جئتهم به، ولا يضيق صدرك، فتترك بعض ما أنزلت إليك[2]))؛ كما أن الكتاب والسنة عصمة لمن اتبعهما من الضلال والكفر يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3] يعني: ((أن الكفر بعيد منكم وحاشاكم منه؛ فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلاً ونهاراً، وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم))[4]، وفي مثل هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم ((**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي**))[5].

حديث رقم ١١، ١٤/١. ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب قراءات النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٢٩٣٨، ٢٦١/٢. وصححه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه، حديث رقم ١١، ١٤/١.

[1] سورة هود، آية رقم ١٢٠.

[2] جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ٥٣٩/١٥، دار هجر، ط١، ت: ب.

[3] سورة آل عمران، الآيتان رقم ١٠٠ ـــ ١٠١.

[4] تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ٨٦/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠.

[5] أخرجه مالك في الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر حديث رقم ١٥٩٤، ٨٩٩/٢. والحاكم في المستدرك، كتاب العلم، حديث رقم ٣١٨، ١٧١/١. وقال الألباني: حديث حسن. انظر: السلسة الصحيحة، ٣٥٥/٤.

٥. أن الكتاب والسنة يبينان لأهل الحسبة الموقف الصحيح من كل شبهة تُثار، أو موقف يتخذه المخالفون لهم، فيدفعون به كيد أعدائهم، ويردون به على دعاوي خصومهم، كما قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[1]

ومعنى الآية الأخيرة كما ذكر المفسرون: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ ﴾ أي: المشركون ﴿ بِمَثَلٍ ﴾ يضربونه لك في مخاصمتك وإبطال أمرك ﴿ إِلَّا جِئْنَٰكَ ﴾ أي: بالذي هو حق لترد به كيدهم ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ من مَثَلهم، والتفسير: هو البيان والكشف[2].

وبعد هذا كله يتبين أن الالتزام بالكتاب والسنة من أهم ما يعين المحتسب على أداءه لعمله، ففي هذا الاتباع حماية له من كيد الشياطين، واستبانة لسبيل المجرمين، فيحصل الثبات والتثبيت بإذن الله تعالى، ويتبين الموقف الصحيح والإجراء المناسب في هذا التعامل.

---

[1] سورة الفرقان، الآيتان ٣٢ ــ ٣٣.

[2] انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، ١٣٢/٧، دار إحياء التراث العربي، ط١، ت: ب. وزاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي، ٤٧٤/٤، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٩هــ. ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ٨٣/٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هــ.

الفصل الأول

أصناف المخالفين لأهل الحسبة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول/ أصناف المخالفين لأهل الحسبة من غير المسلمين.

المبحث الثاني/ أصناف المخالفين لأهل الحسبة من المسلمين.

توطئة:

لا شك أن معرفة المخالفين لأهل الحسبة، والعلم بأقسامهم ورتبهم، والقدرة على التمييز بينهم، من أهم المهمات التي يحتاج إليها المحتسبون، حتى يكون التعامل معهم قائماً على العدل والحكمة، ومحققاً للغرض المقصود وفقاً لأحكام الشريعة، لذلك لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن، أخبره بحقيقة حال من يقدم عليهم، فقال له ((**إنك تقدم على قوم أهل كتاب**...))[1] الحديث، فهذا البيان لحالهم، إنما هو بمثابة التوطئة للوصية ليستجمع همته عليها، لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في التعامل معهم، كالتعامل مع الجهال من عبدة الأوثان[2]، وهكذا ينبغي لأهل الحسبة أن يستبصروا حال المخالفين لهم، والمنهج الشرعي في التعامل مع كل صنف بما يناسب حاله، حتى لا يقع الاضطراب في الموازين، فيفسدوا ولا يصلحوا، ويهدموا ولا يبنوا.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث رقم ١٣٦٥، ٢٩٨/٥. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، حديث رقم ١٩، ٣٨/١.

[2] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ٣٥٨/٣، دار المعرفة ـــ بيروت ـــ، ط: ب، ١٣٧٩هـــ.

المبحث الأول/ أصناف المخالفين لأهل الحسبة من غير المسلمين:

المطلب الأول: المشركون:

كلمة الشرك في اللغة: تطلق على المخالطة، والتسوية، والكفر، وحبائل الصائد، والند، والمثيل، والشبيه، والكفء والنظير، والعديل، والعدلاء، والأرباب[١].

أما الشرك في الاصطلاح فقد عرفه الذهبي رحمه الله بقوله: ((هو أن تجعل لله نداً، وهو خلقك وتعبد معه غيره))[٢].

ويمكن أن يعرف الشرك بما يلي: هو أن يتخد العبد مع الله نداً يجعله مساوياً وشريكاً له جل وعلا فيما يستحقه وحده، في ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته، سواءً كان ذلك بالاعتقاد أو القول والعمل[٣].

إن المتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يجد أن المشركين من أشد الأصناف خلافاً لأهل الحسبة، بل معاداتهم ومحاولة صدهم على ما هم عليه من أمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر، بكل ما يستطيعون من وسائل وأساليب.

وقد بين القرآن الكريم جملة من خلاف المشركين مع المحتسبين، وأساليبهم في هذا الخلاف، ومنها:

---

[١] انظر لسان العرب، لابن منظور، ١٠/٤٤٨، (مرجع سابق) والقاموس المحيط، للفيروز آبادي، ٣/ ٣٠٨، (مرجع سابق).

[٢] الكبائر، شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، ص٣٨، دار الندوة الجديدة، ط١، ت: ب.

[٣] انظر الاستقامة، للإمام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ١/٣٤٤، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٤هـ. ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بن حامد الفقي، ١/٣٦٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ. والقول السديد في مقاصد التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دراسة وتحقيق: المرتضى الزين أحمد، ص٢٩، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط٣، ت: ب.

١. الاتهام والتكذيب.

فيسعون إلى إثارة الشُبه ليشككوا الناس فيما جاء به أهل الحق ــ ومنهم المحتسبون ــ فيشككونهم في صدقهم، فمثلاً يقولون كما أخبر الله تعالى ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾[3] وقوله عز وجل ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾[4] وقوله جل شأنه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[5] ويقول سبحانه ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[6].

ثم إنهم لا يتورعون في اتهام أهل الإيمان ــ ومنهم المحتسبون ــ الذين يعرفون صدقهم وأمانتهم بأقذع الكلمات وأقبحها، فيتهمونهم تارة بالكذب وتارة بالضلالة والسفاهة

[1] سورة ص، الآيتان ٥ ــ ٨.
[2] سورة الرعد، آية رقم ٥.
[3] سورة الإسراء، آية رقم ٤٩.
[4] سورة السجدة، آية رقم ١٠.
[5] سورة سبأ، آية رقم ٧.
[6] سورة هود، آية رقم ٦٢.

وغير ذلك، يقول تعالى ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾[1]، ويقول عز من قائل ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴾[2] ويقول جل ذكره ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[3].

٢. السعي للوقيعة بين أهل الإصلاح وأنصارهم.

لما يئست قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ليكف عما جاءهم به، وهم يرون أتباعه في ازدياد، ذهبوا إلى من كان يمنعه ويدافع عنه، وهو عمه أبو طالب فقد كان مصمماً على مناصرته وعدم خذلانه، وهذا ما جعل قريشاً تزداد غمًّا وحسدًا ومكرًا، فمشوا إلى عمه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد، أنهد فتى في قريش، وأجملهم، فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك، ودين آبائك، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامنا، فنقتله فإنما هو رجل

[1] سورة ص، آية رقم ٤.

[2] سورة الأعراف، الآيات ٥٩ ــ ٦٤.

[3] سورة الأعراف، آية رقم ٦٦.

برجل، قال: والله لبئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني فتقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبداً[1].

وفي مثل ذلك أن قريشاً جاءت إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا، فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم، ثم قال له عمه: يا ابن أخى إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا، فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك[2].

٣. الترهيب.

ومن ذلك ما فعلوه مع سيد المحتسبين صلى الله عليه وسلم، بوسائل متعددة منها:

أ. محاولة القتل، قال تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[3].

ب. المقاطعة، حيث اجتمعت قبائل قريش على مقاطعة بني هاشم بسبب عدم تسليمهم النبي صلى الله عليه وسلم[4].

ج. التعرض للرسول صلى الله عليه وسلم بالأذى كما في وضع سلى الجزور على ظهره الشريف وهو ساجد عند الكعبة صلى الله عليه وسلم، ووضع الأذى عند بيته وفي طريقه عليه الصلاة والسلام، ويؤذى بالقول والفعل والسخرية وإلحاق الأذى لقومه، كما أنه

---

[1] انظر: البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دققه وحقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، ٤٨/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

[2] انظر: السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد ٤٦٣/١ دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١١هـ.

[3] سورة الأنفال، آية رقم ٣٠.

[4] انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، ٩٨/١، (مرجع سابق).

أوذي صلى الله عليه وسلم بالحصار، حتى إنه لم يدخل مكة إلا بجوار المطعم بن عدي لما رجع إليها من الطائف بعدما ناله منهم ما نال من الأذى[1].

٤. التحدي.

ومن ذلك تعنتهم في طلب المعجزات، كما في طلبهم من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسوي بلادهم ويجري فيها الأنهار، و أن يجعل هذه الجبال ذهبا وفضة، و أن يسقط عليهم من السماء كسفا، وأن يرقى في السماء ويأتي لهم منها بكتاب. وأن يأتي بالله والملائكة قبيلا، وهذا ما ذكره الله جل وعلا في قوله ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾[2].

٥. الاستهزاء، قال تعالى ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾[3].

فهذه جملة من الأساليب التي برز المشركون في استخدامها مع النبي صلى الله عليه وسلم، لصده عما جاء به من الإصلاح، فتنوعت أساليبهم وارتقت من مرحلة إلى أخرى، فتارة

[1] انظر: السيرة النبوية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، ٣٨٢/١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ، ط١، ١٣٩٥هـ.

[2] سورة الإسراء، الآيتان ٩٠ ــ ٩٣.

[3] سورة الأنبياء، آية رقم ٣٦.

بالاتهام والتكذيب، وتارة بالتحدي، وتارة بالترهيب والإيذاء، وأخرى بالاستهزاء؛ ونلحظ من خلال هذه الأساليب، أن هؤلاء المشركين لا يردعهم في تعاملهم مع المصلحين عاداتهم ولا تقاليدهم التي يتغنون بها؛ فحسدهم يدفعهم إلى الاتهام والتكذيب، وللوقيعة بين المصلحين وأتباعهم بالكذب والتدليس، وعلوهم وتكبرهم بالترهيب والاستهزاء.

فعلى أهل الحسبة الحذر في التعامل معهم، واتخاذ الاجراءات التي ترد عنهم بمشيئة الله تعالى هذا الكيد والعداء؛ كما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، من التجاء وتوكل على الله عز وجل، وصدق النية، وما كان عليه من الصبر والرحمة والشفقة، وغير ذلك مكارم الأخلاق.

المطلب الثاني: أهل الكتاب:

أهل الكتاب هم: اليهود والنصارى[1]، لقوله تعالى ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ ﴾[2].

ولأهل الكتاب أساليب متعددة في خلافهم مع أهل الحسبة، نذكر منها ما يلي:

١. التعدي بالقتل، كما أخبر الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم

[1] انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، محمد بن عبدالعزيز القرعاوي، تحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد، ص٦١، مكتبة السوادي ــ جدة ــ ط٥، ١٤٢٤هـ.

[2] سورة الأنعام، آية رقم ٢٥٦.

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[1] وفي القسط هنا وجهان:

أحدهما: العدل.

والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

وليس هناك كبير فرق بين الرأيين لأن الأمر بالعدل هو أمر بالمعروف، وإذا نظرنا إلى الأمر بالعدل على أنه نهي عن الظلم أيضاً، كان الأمر به نهياً عن المنكر كذلك.

يقول الإمام الطبري رحمه الله عن قتادة رحمه الله قال: ((هؤلاء أهل الكتاب، كان أتباع الأنبياء ينهونهم ويذكّرونهم، فيقتلونهم[3])).

ومن ذلك ما فعلوه مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث أهدت له اليهودية زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية، وقد سألت أي عضو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ((**إن هذا العظ يخبرني أنه**

[1] سورة آل عمران، الآيتان ٢١ ــ ٢٢.

[2] انظر: النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، ٢٢٣/١، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ط١، ت: ب.

[3] جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، ٢٨٥/٦، (مرجع سابق).

مسموم)) ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ((**ما حملك على ذلك**)) قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان كذابا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر[1].

٢. الإسلام ثم الارتداد.

وهذا من أشد المكر بأهل الحسبة، فهم بارتدادهم عن الإسلام قد يقع الشك من الناس بصدق المحتسبين الناصحين، وإلا لما رجع هؤلاء عن الإيمان بما أتوا به، قال تعالى ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾[2] يقول القرطبي رحمه الله: ((ومعنى الآية: أن اليهود قال بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان بمحمد في أول النهار ثم أكفروا به آخره، فإنكم إذا فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعه ارتياب في دينه فيرجعون عن دينه إلى دينكم، ويقولون إن أهل الكتاب أعلم به منا))[3].

٣. التعنت في الأسئلة.

ومن ذلك أنه جاء يهودى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: جئت أسألك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**أينفعك شيء إن حدثتك**))؟ قال: أسمع بأذني. فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال: ((**سل**)) فقال اليهودى: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**هم فى الظلمة دون الجسر**)) قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: ((**فقراء المهاجرين**)) قال اليهودى: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: ((**زيادة كبد النون**)) قال: فما غذاؤهم على إثرها؟

---

[1] السيرة النبوية، لابن كثير، ٣٩٩/٣، (مرجع سابق).

[2] سورة آل عمران، آية رقم ٧٢.

[3] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١١١/٤.

قال ((**ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها**)) قال: فما شرابهم عليه؟ قال: ((**من عين فيها تسمى سلسبيلا**)) قال: صدقت، وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان قال: ((**ينفعك إن حدثتك**)) قال أسمع بأذني؟ قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: ((**ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا منى المرأة منى الرجل آنثا بإذن الله**)) قال اليهودى: لقد صدقت وإنك لنبى ثم انصرف فذهب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((**لقد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه وما لى علم بشيء منه حتى أتانى الله به**))[1].

وهذه الأساليب في مجملها لا تختلف كثيراً عن أساليب المشركين في التعامل مع المصحلين، من حيث الاعتداء عليهم، والتعنت في الأسئلة لإحراجهم وإيهام الناس بضعفهم، والكيد لهم وذلك بقبول ما يأتون به ثم تركه لتشكيك الناس به وإلا لما رجعوا وارتدوا عنه.

ومعرفة ذلك مما يساعد المحتسبين على اتخاذ أنجع الوسائل والأساليب في التعامل معهم، والحذر من مكر أعدائهم وكيدهم.

[1] رواه مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائها، حديث رقم ٧٤٢، ١٧٣/١.

المبحث الثاني/ المخالفون لأهل الحسبة من المسلمين.

المطلب الأول: المنافقون.

النفاق في اللغة: مأخوذ من النافقاء، والنافقاء إحدى حِجَرَةِ اليربوع، يكتمها ويظهر غيرها، وهو موضع يرققه، فإذا أتي من قبل القاصعاء ضرب اليربوع النافقاء برأسه فانتفق أي: خرج، وقيل: مأخوذ من النفق، وهو السرب تحت الأرض، ويراد أن يستتر بالإسلام كما يستتر صاحب النفق[1].

أما في الاصطلاح فهو: إظهار الإسلام وستر الكفر؛ أو إظهار الإيمان والخير بالقول أو الفعل، وإبطال الكفر والشر في القلب من القول والاعتقاد[2].

وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم في قوله ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3].

وهذا الصنف من أشد الأصناف مكراً لأهل الحسبة، ومن أخطرهم على المسلمين عموماً؛ لأنهم يُظهرون الحرص على الإصلاح، ويدعون العلم والفهم، ويثيرون الشبه المضلة.

---

[1] انظر: لسان العرب، مادة نفق، ١٠/٣٨٥ ـــ ٣٨٦.

[2] انظر: التعريفات، للجرجاني، ص٢٤٥.

[3] سورة التوبة، آية رقم ٦٧.

لذا فهم في خلاف دائمٍ مع أهل الحسبة، لأنهم على النقيض تماماً، كما أخبر الله تعالى ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ يقول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ﴾ ((وهو الكفر بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وبما جاء به وتكذيبه ﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله، وبما جاءهم به من عند الله))[1].

إذاً فسبب هذا الخلاف راجع إلى الطبيعة المنتكسة الراسخة في قلوبهم، المنعكسة على أخلاقهم وسلوكهم، فإن العقول السليمة حاكمة بأن الحق هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان ما ذكرته هذه الآية من أخص صفاتهم.

وبرز للمنافقين أساليب كثيرة في عدائهم للمصلحين، منها:

١. ترويج الشائعات.

فيسعون إلى ترويج الشائعات التي تثير الناس على المحتسبين، ليفقدوا الثقة بهم؛ كيوم خاض المنافقون في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم واتهموا ابنة الصديق بأبشع تُهمة، وأعظم جناية، وما ذلك إلا لزعزعة الثقة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، وتفريق الناس من حولــــه.

٢. الخداع.

فهم يكيدون لهم بكلِ خبثٍ ودهاء، ويسعون للقضاء عليهم بكل وسيلةٍ ممكنة؛ ومن طرق مكرهم وخداعهم، إيهام أهل الإيمان ـــ ومنهم المحتسبون ـــ بأنهم معهم، وإظهار التزامهم

---

[1] جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، ١٤/٣٣٩، (مرجع سابق).

بما يأمرون به وما ينهون عنه، قال تعالى ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1].

فالمخادعةُ ركن ركين، وأصل أصيل، لا يقوم النفاق بدونه، فالمنافقون هم صناع الكيدِ والمكر، وهم رؤوس الخيانة والغدر، ويظهرُ خداعهم ومكرهم، من خلالِ سرعة تلونهم، وفُجاءةِ تحولهم ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾[2].

٣. التضييق على الأتباع.

فإنَّ من أساليبهم تبني سياسة التجويع، ومحاولة قطع إمدادات الحياة عن المؤمنين الصادقين، كوسيلةٍ من وسائل الضغط والابتزاز، يقول الله تعالى عنهم ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[3] فمن شدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، لما رأوا اجتماع أصحابه رضي الله عنهم وائتلافهم عليه، ومسارعتهم في مرضاته صلى الله عليه وسلم،

---

[1] سورة المنافقون، آية رقم ٤.

[2] سورة النساء، آية رقم ١٤٣.

[3] سورة المنافقون، آية رقم ٧.

قالوا بزعمهم الفاسد ﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ يريدون من ذلك الضغط على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لمفارقته، فهم بزعمهم لولا أموال المنافقين ونفقاتهم عليهم، لما اجتمعوا في نصرة دين الله، وهذا من أعجب العجب، أن يدعي هؤلاء المنافقون الذين هم أحرص الناس على خذلان الدين، وأذية المسلمين، مثل هذه الدعوى، التي لا تَروج إلا على من لا علم له بحقائق الأمور[1].

٣. الاستهزاء.

يلاحظ أن الاستهزاء من أكثر أساليب المنافقين استخداماً في خلافهم مع أهل الحسبة، لانتقاصهم وإظهارهم بصورة مشوهة غير لائقة، حتى لا يُعرف لهم شأن ولا يُقدر لهم قدر؛ بل إن الاستهزاء بالصالحين الناصحين، والخوض في أعراضهم يعد من أكبر علامات النفاق، فالمنافقون لا يتورعون في التقليل من شأن أهل الحسبة والحط من قدرهم، كيف لا؟ وقد استخدموا هذه الأساليب المقيتة الممجوجة مع سيد المحتسبين صلى الله عليه وسلم ومع أصحابه، فقالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ــ يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ــ أرغب بطونا وأكذب ألسناً وأجبن عند اللقاء[2]، ولما بلغهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد علم بكلامهم جاؤوا يعتذرون إليه ويقولون ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[3]

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص٨٦٥، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هــ.

[2] انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د. علي بن محمد الصلابي، ص ٨٢٨، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ ط٧، ١٤٢٩هــ

[3] سورة التوبة، آية رقم ٦٥.

أي: ((نتكلم بكلام لا قصد لنا به ولا قصدنا الطعن والعيب))[1]، فقال الله تعالى مبيناً عدم قبول عذرهم في ذلك ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[2].

المطلب الثاني: المتكبرون والمعاندون:

دائماً ما تكون العلاقة بين الكبر والعناد طردية، فالعناد يُصيِّرُ الإنسان مكابراً، والكبر يُصيِّرُه معانداً، وكثيراً ما نجد ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾[3].

يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى في معنى هذه الآية: ((وجحدوا بالآيات التسع ظلماً وعلواً، واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله، فعاندوا الحق بعد وضوحه لهم))[4]، بسبب تكبرهم وتجبرهم.

وهذا الصنف من أشد الأصناف عداءً لأهل الحسبة، خاصة إذا وقع الكبر والعناد من أصحاب الوجاهة والرياسة فإنه ولا شك يزيد عنادهم وتمردهم على أهل الحق والإصلاح، كحال فرعون مع نبي الله موسى عليه السلام قال الله تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي، ص٣٤٢.

[2] سورة التوبة، الآيتان رقم ٦٥ ــ ٦٦.

[3] سورة النمل، آية رقم ١٣.

[4] جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، ٤٣٦/١٩، (مرجع سابق).

﴿نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾[1] فكلما كان المخالف صاحب جاه ومكانة في مجتمعه، زاد استكباره وعناده، فزاد بطشه وعداؤه، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((بل الاستقراء يدل على أنه كلما كان المخالف أعظم مكانةً ونفوذاً، كان أعظم استكباراً عن عبادة الله، وأعظم عداءً له، ولأوليائه))[2].

كما أن هؤلاء المتكبرين لا يُعينهم الله في فهم مراد أهل الحق، لأن الله تعالى صرفهم عن فهم كتابه[3]، بسبب استمرارهم في تكبرهم وعنادهم عن الإذعان للحق، قال تعالى ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾[4].

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: ((وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به الصحيح والفاسد، والحق والباطل، ويمده حسن القصد وتحري الحق وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق وترك التقوى))[5]، لذا فهم لتكبرهم على المحتسبين، تختل نظرتهم، بسبب انهماكهم في الهوى وتعاليهم على أصحاب الحق.

---

[1] سورة الأعراف، آية رقم ١٢٧.

[2] العبودية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ص٢٣، تحقيق: محمد بن زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ص٧، ١٤٢٦هـ، بتصرف يسير.

[3] شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ١٨٤/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

[4] سورة الأعراف، آية رقم ١٤٦.

[5] إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، ٨٧/١، دار الجيل، بيروت، ط: ب، ١٩٧٣م.

ثم إن هؤلاء المتكبرين المتغطرسين أهل مكرٍ وخداعٍ وكذب، لأجل أن لا يلومهم الناس على تكبرهم وعنادهم للناصحين، فقد يبررون مواقفهم المخالفة، بعدم الاستطاعة والقدرة ويحتجون بأمور واهية، ليرفعوا الحرج عن أنفسهم، ولذلك لما احتسب النبي صلى الله عليه وسلم على الذي أكل عنده فقال له ((**كل بيمينك**)) قال لا أستطيع، فقال له صلى الله عليه وسلم ((**لا استطعت**)) ما منعه إلا الكبر[1]؛ فالرجل بما قام في نفسه من استكبار وتعاظم، رفض أن ينصاع لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الوقت ذاته لم يشأ أن يُظهر امتناعه صراحةً، فتذرَّع بالعجز وعدم القدرة على تناول الطعام بيده اليُمنى، علَّه أن يُفلت من نظرات اللوم والعتاب، وقد بدت تلك الحجّة واهيةً ساذجةً لا تخفى على لبيب عاقل، يُبصر مظاهر الأنفة والاستكبار باديةً على وجه صاحبها، فهل ستخفى على سيِّدُ المحتسبين صلى الله عليه وسلم؟!.

المطلب الثالث: أدعياء الحرية:

((وهم الذين ينادون بالحرية المطلقة، الساعون بأفكارهم الهمجية لإطلاق الناس وانحلالهم من كل عقال (ديني، وأخلاقي، واجتماعي) للإفساد في الأرض وتحطيم القيم، فيسعون لإطلاق يد الفساق في عصيانهم وفجورهم دون أن يكون لأحد أوجهة حق محاسبتهم وردعهم))[2]؛ وهذا ذاته ما تريده اليوم الأقلام الهابطة والأجهزة الموجهة لتحطيم الحواجز والانطلاق البهيمي، الذي لاعاصم منه إلا شرع الله، حين تقره العصبة المؤمنة في الأرض، لذا فهم لا يؤمنون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعتبرون أهل الحسبة من المتطفلين الذين يخوضون فيما لا يعنيهم؛ فيقولون: ((يجب على المحتسبين أن يتركوا الناس وشأنهم، ولا يتدخلوا في شؤونهم الخاصة بأمرهم بالمعروف الذي لا يرغبون في فعله، ونهيهم عن

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، حديث رقم ٥٣٨٧، ١٠٩/٦.

[2] مفهوم الحرية بين الإسلام والجاهلية، نايف بن علي الشحود، ص١٢٢.

المنكر الذي يرغبون فيه، لأن هذا يتعارض مع الحرية الشخصية الثابتة في الإسلام))[1]، ويستدلون بقوله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]، وقد بين العلماء بطلان هذه الشبهة، وزيغ من قال بها، من حيث أنه لم يدرك مفهوم الحرية في الإسلام، حيث هي إخراج العباد من عبادة العباد، ولا يعني هذا إخراجهم من عبودية رب العباد، ومن النصوص التي تدل على أن المؤمنين مطالبون بالاستسلام لله تعالى والعمل بجميع أوامره وترك جميع نواهيه قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[3] وبين المولى عز وجل أنه لا يبقى لمؤمن ولا مؤمنه أدنى خيار بعد مجيء أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾[4] وصور لنا السميع البصير مبادرة المؤمنين إلى امتثال أوامره وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم حيث يقول عز من قائل ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[5].

[1] شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. فضل إلهي ظهير، ص٤، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٨م.

[2] سورة البقرة، آية رقم ٢٥٦.

[3] سورة البقرة، آية رقم ٢٠٨.

[4] سورة الأحزاب، آية رقم ٣٦.

[5] سورة النور، آية رقم ٥١.

وكذلك فمدعي الحرية المطلقة أخطأوا في فهم قوله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[1] فيعتقدون بأن للإنسان فعل ما يشاء، وترك ما يشاء، وليس لأحد إلزامه على فعل الخير الذي تركه، أو اجتناب الشر الذي فعله؛ بيد أن المقصود بهذه الآية الكريمة كما يقول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله بعد نقله أقوالاً مختلفة في تفسير الآية: ((وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في خاص من الناس، وقال: عني بقوله تعالى ذكره ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ أهل الكتاب والمجوس وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق ، وأخذ الجزية منه))[2].

ثم يقول مبيناً سبب ترجيح هذا القول ((وكان المسلمون جميعاً قد نقلوا عن نبيهم، أنه أكره على الإسلام قوماً فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام، وحكم بقتلهم أن امتنعوا منه، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب، وكالمرتد عن دينه دين الحق إلى الكفر ومن أشبههم، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه، وإقراره على دينه الباطل، وذلك كأهل الكتابين ومن أشبههم))[3].

فهم يدلسون على الناس بما يخالف مراد النصوص[4]، فأخذوا هذه الآية وحاولوا تأويلها وفق أهوائهم، وتجاهلوا تلك النصوص الكثيرة الصريحة الواضحة التي لا تترك مجالاً للشك والتردد في فرضية الحسبة؛ كقوله تعالى ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[5] وقوله تعالى ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[6] وقوله عز وجل

---

[1] سورة البقرة، آية رقم ٢٥٦.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ٤١٤/٥. (مرجع سابق).

[3] المرجع السابق نفسه، ٤١٤/٥.

[4] للاستزادة انظر: شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. فضل إلهي، ص٤. (مرجع سابق).

[5] سورة آل عمران، آية رقم ١٠٤.

[6] سورة المائدة، آية رقم ٧٨.

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[1] وقول النبي صلى الله عليه وسلم ((**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**))[2] إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب هذه الشعيرة العظيمة.

كما أنهم يستخدمون أساليب في خلافهم مع أهل الحسبة، ويسعون لنشرها وبثها لتأليب الجهلة من العوام على المحتسبين ومن ذلك:

١. بث الأفكار المنحرفة.

ولإيصال هذه الأفكار يستخدمون بعض الكلمات الرنانة مثل (الناس أحرار – دعوا كل أحد يعتنق ما شاء – دعوا كل أحد يقول ما شاء – لا تستعبدوا الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) وما أشبه ذلك من الكلمات الخادعة التي يسعون بها إلى تنفير الناس من أهل الحسبة، وقد تنطلي على بعض الجهلة فيقول: هذا هو الدين، ثم يتحلل من كل ما يقيده، ويعمل ما يوافق شهواته ورغباته.

٢. التقليل من أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فيسعون إلى أن يجعلوا الناس لا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، لأنهم يعرفون أنه إذا أمر بالمعروف قام المعروف، وإذا نهي عن المنكر غاب المنكر، فيحاولون أن يقللوا ويضعفوا هذه الناحية، حتى يبقى الناس لا آمر لهم ولا ناهي، بل كل يفعل ما يشاء.

ويجعلون القيام بهذه المهمة الجليلة من باب التدخل في خصوصيات الآخرين، وكبت حرياتهم، وحرمانهم من ممارسة رغباتهم، وقد ذم الله عز وجل أمثال هؤلاء بقوله

[1] سورة الأنفال، آية رقم ٢٥.

[2] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم ١٨٦، ١/٥٠.

﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[1]

فكانوا يفعلون المنكر، ولا ينهى بعضهم بعضاً، فيشترك بذلك المباشر، وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك، وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله، وأن معصيته هينة في نظرهم، فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا على محارمه، ولغضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر – مع القدرة – موجبا للعقوبة، لما فيه من المفاسد العظيمة[2].

٣. نقد الحدود والتعزيرات.

أدعياء الحرية من أكثر الناس نقداً للحدود والتعزيرات بحجة قسوتها، وعدم ملائمتها لهذا العصر، ولا يرغب بها كل الناس، فالبلد الواحد يضم ديانات وطوائف متعددة، لا تُجمع على هذا النوع من العقاب؛ وهم بهذا يسعون إلى مراد بعيد وهو إلغاء تلك الحدود، فلا يرجم الزاني المحصن، ولا يجلد شارب الخمر، وغيرها من الحدود؛ ومن المعلوم أنه إذا ضعف الإيمان فلا بد من رادع السلطان، فإن ضَعُفَ الإيمان وعُدِمَ رادعُ السلطان، فكلٌّ يفعل ما يشاء، فلا آيات زاجرة، ولا حدود رادعة.

المطلب الرابع: أهل الشهوات والمعاصي:

وهم أهل الفسوق والمجون واللهو واللعب المتبعون للشهوات والأخلاق الرذيلة، فهم يعادون أهل الحسبة لأنهم يقطعون عليهم شهواتهم، وينغصون عليهم ملذاتهم المحرمة، فيظلون يهمزون ويلمزون ويُجَرِّحون بالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، سعياً منهم لتأليب الناس عليهم، لتبرير التخلص منهم؛ لذا لما نهى لوط عليه السلام قومه بالانتهاء عن شهواتهم والكف عنها، كان ردهم ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟

[1] سورة المائدة، آية رقم ٧٩.

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ١/٢٤٠. (مرجع سابق).

﴿ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[1]، فهم أصحاب مشاريع إفساد في الأمة، حريصون على إفساد العباد والبلاد، فقد قال الله فيهم ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴾[2] لذا فهم دائموا الامتعاض من أهل الحسبة، بل ويجاهرون بعدائهم لهم، فلطالما دبجوا المقالات، وسودوا الصفحات بمكائدهم وأكاذيبهم.

المطلب الخامس: الجاهلون بأحكام الحسبة، وأهميتها، ومقاصدها:

وهم من بعض المثقفين، ممن لا حظ لهم في العلم، ولا في تعظيم هذه الشعيرة إلا اليسير، فلا يقيمون لها وزناً، ولا يقدرون لأهلها قدراً.

ومن أعظم الشبه التي انطلت على هؤلاء الجهال أنهم يقولون: ((ينبغي أن لا يُضيع أهل الحسبة جهودهم وأوقاتهم في أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر حيث إنهم لا يستجيبون))[3]، ويحتجُّ أصحاب هذه الشبهة ببعض النصوص التي جاء فيها – بحسب زعمهم– الأمر بالتذكير مشروطاً بالنفع، أو مخصوصاً لمن خاف الوعيد، أو خشي الرحمن بالغيب، واتبع الذكر، ومن هذه النصوص:

أ. قوله تعالى ﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾[4].

ب. وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[5].

---

[1] سورة الأعراف، آية رقم ٨٢.

[2] سورة النساء، آية رقم ٢٧.

[3] انظر: شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. فضل إلهي، ص٢٠. (مرجع سابق).

[4] سورة الأعلى، آية رقم ٩.

[5] سورة فاطر، آية رقم ١٨.

ج. وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴾[1].

د. وقوله تعالى﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[2].

قالوا: نجد في هذه الآيات بأن الله تعالى اشترط لأمره بالتذكير ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ كما أرشد نبيه الكريم أن يقتصر في إنذاره على ﴿ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ وعلى ﴿ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ ﴾ لذا فهم ينكرون على أهل الحسبة في أمرهم ونهيهم لكل أحد[3].

ويمكن التمثيل لهذا الصنف، بالأمة التي أنكرت على المحتسبين وذكرها الله جل وعلا في قوله﴿ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾[4] وظاهر الآية يدل على أن هذه الأمة كانت تجهل شيئاً مهماً يتعلق بمهمة أهل الحسبة، وقد يكون هذا الشيء الذي تجهله وجوب الاستمرار في الإنكار سواءً نفع أم لم ينفع، وقد يكون ما غاب عنها هو الثمرة التي يجنيها المحتسب من قيامه بهذا الواجب، وهو السلامة والنجاة من العذاب واللوم.[5]

---

[1] سورة يس، آية رقم ١١.

[2] سورة ق، آية رقم ٤٥.

[3] انظر: شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. فضل إلهي، ص٢٣، (مرجع سابق).

[4] سورة الأعراف، آية رقم ٦٤.

[5] انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤٩٤/٣. (مرجع سابق). وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: يوسف الغوش، ج٣، ١٨١، دار المعرفة، ط: ب، ١٤٢٣هـ.

كما أن بعض من يجهل وجوب الحسبة يأخذون بظاهر النصوص ويضعونها في غير موضعها، كما في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[1] فيقولون: أن الشخص إذا اهتم بنفسه فقام بما يجب عليه من الواجبات، لا يضره ضلال من ضل[2].

وقد بين أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه خطأهم وبعدهم عن الصواب في فهم هذه الآية، فعن قيس بن أبي حازم قال: ((قال أبو بكر بعد أن حمد الله واثنى عليه: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها، وإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ((**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**))[3].

فيتبين لنا مما سبق أن المخالفين لأهل الحسبة ينقسمون إلى قسمين:

الأول: غير مسلمين، كالمشركين، وأهل الكتاب من يهود ونصارى.

والثاني: مسلمين، كالمنافقين، وأهل الكبر والعناد، وأدعياء الحرية، وأهل المعاصي والشهوات، والجاهلون لوجوب الحسبة وأهميتها.

وهؤلاء المخالفون لكل منهم توجهات واعتقادات ومعادات لأهل الحسبة من أهمها:

---

[1] سورة المائدة، آية رقم ١٠٥.

[2] الحسبة والدعوة مكانتهما في الإسلام وأثرهما في المجتمع ودور وزارة الدفاع والطيران السعودية في تطبيقهما، د. عوض بن رويشد السحيمي، ٢٥٣/١، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

[3] رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم ٢٩، ٧/١. وأبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، حديث رقم ٤٣٤٠، ٢١٤/٤. والترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، حديث رقم ٢١٦٨، ٤٦٧/٤. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣٦/٣.

١. الاتهام والتكذيب.

٢. السعي للوقيعة بينهم وبين أتباعهم.

٣. الترهيب.

٤. التحدي.

٥. الاستهزاء.

٦. القتل.

٧. التعنت في الأسئلة.

٨. المكر والخديعة، كالدخول في الإسلام ثم الارتداد.

٩. ترويج الشائعات ضد أهل الحسبة.

١٠. التقليل من أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي معرفة المحتسبين لأصناف هؤلاء المخالفين، وتوجهاتهم واعتقاداتهم وأساليبهم في التعامل، إعانة لهم بمشيئة الله تعالى على التعامل معهم وفق المنهج الشرعي، والحذر من كيد الكائدين، وتربص المتربصين، واختيار أنجع الوسائل والأساليب في التعامل معهم.

الفصل الثاني

التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة

ويشتمل على:

المبحث الأول: منهج التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

المبحث الثاني: وسائل التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

المبحث الثالث: أساليب التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

المبحث الأول

منهج التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المنهج لغة، واصطلاحاً.

المطلب الثاني: منهج التعامل مع المخالفين.

المطلب الأول/ تعريف المنهج لغة، واصطلاحاً:

١. تعريف المنهج في اللغة:

المنهج: جمعه المناهج، و(النهج): البين الواضح، وطريقٌ نهجٌ: بينٌ واضحٌ، والجمع نَهْجاتٌ ونُهُجٌ ونُهُوجٌ، وأنهج الطريق: وضح واستبان، وصار نهجاً واضحاً بيناً، و(المنهج) و(المنهاج) مثله، ففي التنزيل ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[١] ويقال: طريق ناهجٌ أي: واضح بين[٢].

وسائر تصاريف هذا اللفظ تدل على أنه الطريق الواضح البين الموصل إلى الغاية المقصودة.

٢. التعريف الاصطلاحي:

عرف المنهج في الاصطلاح العام بعدة تعريفات منها:

أ. ((أنه النشاط المنظم للإنسان في أي جانب من جوانب حياته))[٣].

ب. وعُرِّف المنهج بأنه: ((الأصول والقواعد، ويراد بها الطريقة المنظمة في النظر والتفكير وتناول العلوم والمعارف))[٤].

ج. وعُرِّف بأنه: ((الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، والتي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة))[٥].

د. وعرفه صاحب المدخل إلى علم الدعوة بأنه: ((النظام والخطة المرسومة للشيء))[٦].

---

[١] سورة المائدة، آية رقم ٤٨.

[٢] لسان العرب، لابن منظور، ٢/٣٨٣، (مرجع سابق).

[٣] المنهج السلفي، د. مفرح بن سليمان القوسي، ص٢٢، دار الفضيلة ـــ الرياض ـــ، ط١، ١٤٢٢هـــ.

[٤] المرجع السابق نفسه، ص٢٣.

[٥] منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان بن علي حسن، ١/٢٠، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٥هـــ.

[٦] المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص٤٥، مؤسسة الرسالة ـــ بيروت ـــ ط٣، ١٤٢٢هـــ.

هـــ. ويذهب بعض الباحثين إلى أن للمنهج استعمالين: أحدهما عام والآخر خاص، وأن مدلولهما في الحالتين متقارب، فالمنهج يأتي بمعنى السمة الغالبة على مجموعة من الظواهر الفكرية أو السلوكية؛ ويأتي بمعنى الطريق أو الطريقة المتعددة التي توصل الإنسان من نقطة إلى نقطة أخرى[1].

ويذهب الباحث إلى ما ذكره صاحب المدخل إلى علم الدعوة، فهو أقرب التعريفات وأشملها.

المطلب الثاني: منهج التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة:

إن منهج التعامل مع المخالفين بحاجة إلى قواعد تحكم منطلقاته، وتحدد مساره، وتوجه القائمين عليه، وتبين طبيعة عمله، وعلاقاته مع الآخرين، وتكشف عن المنطلق الحقيقي لهذا التعامل، وضبطه، وعدم تركه للأهواء والرغبات الشخصية، وبخاصة في العصر الحاضر، حيث توسعت الخلافات وانتشرت المخالفات، بل واختلفت رؤى بعض المحتسبين في طبيعة هذا التعامل.

لذا كان من الواجب الاعتناء بهذا المنهج، والتقعيد له، والعمل على تقريبه؛ ولا يخفى ما لفوائد هذا التأصيل والتقعيد من فوائد عظيمة في بيان طرق التعامل مع المخالفين على الوجه الشرعي، وضبطه، وعدم تركه للاجتهاد أو العشوائية، كما أنه يحفز على الأخذ به وتطبيقه، ويؤكد ذلك الإمام القرافي رحمه الله حيث يقول: ((وإذا رأيت الأحكام مخرجة على قواعد الشرع مبينة على مآخذها، نهضت الهمم حينئذ لاقتباسها وأعجبت غاية

---

[1] الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ٦٨/١، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩هـــ.

الإعجاب بتقمص لباسها))[1]؛ وفي هذا وقاية بإذن الله تعالى للمحتسبين من المزالق والمخاطر والاضطرابات والتناقضات التي تضر بهم وبهذه الشعيرة العظيمة.

وفيما يلي استعراض لمنهج التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة:

١. العلم والبصيرة في التعامل:

من القواعد الشرعية المقررة أن العلم قبل القول والعمل، ومن المعلوم بالضرورة أنه لا يمكن إتقان أي عمل إلا بعد تصوره والعلم بما يحتاج إليه، ومن هنا تأتي أهمية علم أهل الحسبة بما يدعون إليه، قال تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] ولا يقل هذا أهميةً، عن ضرورة علمهم بحال مخالفيهم ومعرفة سبلهم وضلالاتهم، حتى يتبينوا حقيقة ما هم عليه من الضلال والفساد، ليتبينوا أنجع الأساليب في التعامل معهم، قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾[3].

فهذه الآيات الكريمة توضح المنهج الذي يجب أن يكون عليه أهل الحسبة، وتبين الموقف الصحيح الذي ينبغي أن يتعاملوا به مع مخالفيهم من المجرمين، وهي كما هو ظاهر من

---

[1] الذخيرة، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، ٣٤/١، دار الغرب ــ بيروت ــ ط١، ١٤١١هـ.

[2] سورة يوسف، آية رقم ١٠٨.

[3] سورة الأنعام، الآيات رقم ٥٥ ــ ٥٧.

سياقها وما اشتملت عليه تؤكد على قضية العلم والبينة الواضحة؛ فبالبينة من الله عز وجل، والاستبانة لسبيل المجرمين، ينطلقون في تعاملهم مع مخالفيهم، لأنهما طريق اليقين الذي به مع الصبر تنال الإمامة في الدين.

فأحوج الناس إلى العلم هم القائمون بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنهم به يتأثرون، وبه يؤثرون، قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1].

ونظراً لاعتماد الاحتساب على العلم بالشريعة الإسلامية وأحكامها، لكون القائم به ينطلق من خلالها، فقد اتفق العلماء جميعاً على وجوب تعامل المحتسبين مع أصناف المحتسب عليهم بالعلم، لأثره الكبير في المحتسب، إذ عن طريقه يَعْرِفُ المعروف المتروك فيأمر به، وعن طريقه أيضاً يَعْرِفُ المنكر المُرْتَكبَ فَيُنْهَى عنه[2]، وهذا هو المطلوب حتى يؤتي الاحتساب ثماره المرجوة منه، وعند ذلك يكون الاحتساب على علم وبصيرة كما أمر الله تعالى به في قوله ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[3].

يقول الإمام السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية ﴿ هَٰذِهِ سَبِيلِي ﴾ أي: ((طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به

---

[1] سورة السجدة، آية رقم ٢٤.

[2] ولاية الحسبة في الإسلام، د. عبدالله بن محمد عبدالله، ص١٤٩، بتصرف.

[3] سورة يوسف، آية رقم ١٠٨.

وإيثاره، وقوله ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء، وقوله ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره))[1].

وبهذا يتضح أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه من بعده تقوم على العلم والهدى والنور من الله سبحانه وتعالى، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: ((وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه))[2].

وقد كان سادة المحتسبين من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يعلنون لمخالفيهم بأنهم على علمٍ وبينة من ربهم، ليزيدوا من حجتهم عليهم، قال تعالى عن نوح عليه السلام لما كذبه قومه ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾[3]، وقال سبحانه عن شعيب عليه السلام بعدما نهى قومه عن المنكرات التي تلبسوا بها، فسخروا منه ومن نهيه لهم ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[4]؛ وقال تعالى عن صالح عليه السلام ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، ١/ ٤٠٦، (مرجع سابق).

[2] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، ٢٤١/١، دار زمزم ـــ الرياض ـــ، ط١، ١٤١٤هـــ.

[3] سورة هود، آية رقم ٢٨.

[4] سورة هود، أية رقم ٨٨.

تَخۡسِيرٖ ﴾[1].

هذا وتتضح أهميةِ تعامل أهل الحسبة مع مخالفيهم بالعلم بالمعروف والمنكر، إذا فُقِدَ العلم بحقيقة المخالفة، أو بحال صاحبها، أو بالطريقة المثلى للتعامل معهم بحسب الأزمنة والأمكنة والظروف والأحوال، فحينئذٍ سيكون ضرره أكبر من نفعه، فقد يأمر بمنكر منهي عنه في الشرع أو ينهى عن معروف مأمور به في الشرع، أو ينأى عن مقاصد الشارع الحكيم، فهو بذلك يفسد أكثر مما يصلح، ويهدم ولا يبني، وقد حذر الله جل وعلا من القول عليه بلا علم، وجعله عديلاً للشرك، قال تعالى ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[2] وقال سبحانه ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾[3].

ومما يبين أهمية أن يكون أمر المحتسب ونهيه بمنهج علمي قويم، ما روي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم، فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة، وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أُخبر بذلك، فقال ((**قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العيِّ السؤال، إنما كان يكفيه أن**

[1] سورة هود، آية رقم ٦٣.

[2] سورة الأعراف، آية رقم ٣٣.

[3] سورة النحل، آية رقم ١١٦.

يتيمم، ويعصر أو يعصب على جرحه خرقه، ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده))[1]
فالاحتساب هنا له ضوابط محددة، لا يجوز تجاوزها شرعاً، حتى لا يضر المحتسب باحتسابه أكثر مما ينفع[2]، فمجرد علم المحتسب بالحكم وحده لا يكفي، فلا بد من الفقه فيه.

ومما يبين أهميةِ أن يكون الاحتساب بالمنهج الشرعي العلمي في التعامل مع المخالفين، أن في ذلك طاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم للنصوص التي تأمر بأن يكون الأمر والنهي بعلم وبصيرة كما سبق بيانها، وأيضاً يفيده ذلك في الإتيان بالاحتساب على الوجه المطلوب شرعاً ونظاماً، فلا يعتمد على اجتهاده الذي قد يؤدي إلى عواقب وخيمة، ويفيده كذلك في تفريقه بين موجبات الاحتساب، فبعضها يتطلب كونه بشدة وحرص، وذلك في مجال العقيدة ونحوها، وبعضها يتطلب أناة وحلماً وإقناعاً، وذلك في المسائل الاجتهادية ونحوها[3].

فالعلم بالأحكام وحدها لا يكفي، فلا بد من الفقه فيها، ومعرفة أدلتها، ونحو ذلك مما يسند المحتسب ويقوي حجته على مخالفيه، فقد يعرض له من يطالبه بالدليل، أو من يقذف بالشبه، وهذا كله يتطلب منه أن يكون على قدر من العلم والفقه بالشرع.

ولا بد هنا من بيان القدر اللازم من العلم الذي يستطيع به المحتسب الاحتساب على المخالفين؛ وذلك أن يكون على علم بكل ما يتطلب هذا التعامل من أمور ومسائل، فيكون عنده من العلم ما يستطيع به أن يعرف حقيقة المخالفة، والحال والمآل، ومقاصد الشارع الحكيم، فيأمر وينهى حسب الموازين الشرعية.

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب المجروح يتيمم، حديث رقم ٣٣٦، ٩٣/١. ورواه ابن ماجة في سننه، كتاب الطهارة، باب في المجروح تصيبه الجنابة، حديث رقم ٥٧٩، ٢٠٢/١. وقال الألباني: حديث حسن، انظر: صحيح سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب المجروح يتيمم، حديث رقم ٣٦٤، ١٥٩/٢.

[2] الصفات الخاصة بالمحتسب، عبدالله بن محمد المطوع، ص١٦٥، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

[3] المرجع السابق نفسه، ص١٤٩.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: ((فليعلم المحتسب مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه))[1].

كما ينبغي للمحتسب أن يكون على صلة بعموم مجتمعه، وما يدور فيه من الفتن، والمنكرات المحدثة، فيكون تعامله مع أصناف المخالفين قائماً على أساس تصور صحيح، وفهم دقيق، وعند ذلك ولا شك سيكون تعامله له أثر عظيم، لاطلاعه وعلمه بأحوالهم.

وكذلك لا بد أن يكون ملماً بالأعراف والعادات الاجتماعية في بلد المخالف[2]، لأن ذلك سيساعده على فهم تصرفاته، مما يعينه على استخدام الطريقة المثلى في التعامل معه.

ولا بد أن يعرف حيل المخالفين، وطرق خداعهم؛ وأن يملك القدرة على اختيار أنسب الوسائل والأساليب في التعامل مع كل صنف.

ويكون كذلك على علم ومعرفة بالشروط الواجب توفرها في تارك المعروف وفاعل المنكر، وأن يكون على علم وبصيرة بدرجات الإنكار[3]، فيبدأ بما يناسب حال المخالف ولا يتعدى الأيسر منها إلى ما هو أغلظ.

---

[1] إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣٢٨/٢، (مرجع سابق).

[2] انظر: ولاية الشرطة في الإسلام، د. نمر الحميداني، ص٢٦٢ ــ ٢٦٣، دار عالم الكتب ــ الرياض ــ، ط١، ١٤١٣هـ.

[3] لمعرفة هذه الدرجات انظر: نظام الحسبة في الإسلام دراسة مقارنة، عبدالعزيز بن محمد بن مرشد، ص١٠٨ وما بعدها، وأصل الكتاب رسالة ماجستير مقدمة للمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٣هـ. وانظر: حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته، أ.د حمد بن ناصر العمار، ص١٤٨ وما بعدها، ط٣، دار كنوز إشبيليا، ١٤٣١هـ.

٢. العدل والإنصاف.

العدل ضد الجور الذي هو الظلم[١]، وهو من القواعد المرعية في الشريعة الإسلامية، وقد جاءت نصوص كثيرة في القرآن والسنة تبيّن ذلك وتحثُّ عليه، فقد أمر تبارك وتعالى بالعدل والإحسان فقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٢]

والآيات الآمرة بالعدل في كتاب الله عامة، وتشمل العدل مع جميع المخالفين، وفي جميع القضايا، وإن كانوا لنا أعداءً، قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٣].

قال الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية: ((يعني بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم؛ فتتجاوزوا ما حدَّدت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصروا فيما حددَّتُ لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي، واعملوا فيه بأمري.

---

[١] للاستزادة انظر تاج العروس، محمد الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ٢٩/٤٤٣ـ٤٥٤، دار الهداية ــ مصر ــ، ط١، ١٤٠٦هـ.

[٢] سورة النحل، آية رقم ٩٠.

[٣] سورة المائدة، آية رقم ٨.

وأما قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ أي: ولا يحملنكم عداوة قوم على أن لا تعدلوا في حكمكم وسيرتكم بينهم؛ فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة)) [1].

ولقد كان من أبرز سمات احتساب شعيب عليه السلام ــ بعد تقرير توحيد الله تعالى ــ إقامةُ القسط في الموازين والمكاييل، قال الله تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [2].

فإذا كان هذا من أجل حفنة شعير أو قبضة حنطة فما بالك في مراد الله تعالى بالعدل في التعامل مع الناس، والحكم عليهم؛ مما ترخص الأموال فداء له وهو عرض المرء وكرامته؟.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم يشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وذلك أن العدل نظام كل شيء فإذا أُقيم أمر الدنيا بالعدل قامت وإن لم يكن

---

[1] جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، ١٠/٩٠، (مرجع سابق).

[2] سورة الأعراف، آية رقم ٨٥.

لصاحبها في الدين من خلاق، ومتى لم تقم بالعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة))[1].

والناظر يلمس بوضوح أن أئمة المسلمين وعلماءهم فهموا من الآيات الواردة والآمرة بالعدل في كتاب الله شمولها للمؤمن وغيره، وعليه فلا عذر لأحدٍ وبخاصة أهل الحسبة في الميل عن العدل أبداً، والله تبارك وتعالى بيَّن ذلك في كتابه، وقال فيه لنبيه ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾[2].

والآية تنص على أنه يجب الحكم بالحق والعدل، حتى ولو كان المحكوم عليه من غير المسلمين، فالعدل مع جميع الناس واجب ومطلوب، وهذا من الأسس الأخلاقية الرفيعة التي قررها الإسلام في التعامل بين الناس جميعًا، الموافق والمخالف، والمؤمن والجاحد، فالاختلاف مهما كان كبيراً، لا يمنع المحتسب من إقامة العدل والإنصاف مع من خالفه.

وقد قرر النبي صلى الله عليه وسلم في سنته مبدأ العدل، وحث عليه بذكر عاقبة أهله، سواءً في إقامتهم العدل في الولايات الصغرى أو الكبرى، ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حُكْمهم وأهليهم وما وُلُّوا**))[3]، قال النووي رحمه الله: ((والمقسطون هم العادلون، وأما قوله الذين يعدلون

[1] الاستقامة، لابن تيمية، ٢/٢٤٦ ــ ٢٤٧، (مرجع سابق).

[2] سورة النساء، آية رقم ١٠٥.

[3] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، حديث رقم ٤٨٢٥، ٦/٧.

في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا، فمعناه أن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك))[1].

وإذا أراد المحتسب أن يمتحن نفسه في تحقيق العدل مع المخالفين، وأن يمحص دعواه في الإنصاف معهم، فليتحقق في نفسه أموراً إن وجدها كان حرياً بوصف العدل، وإن فقدها فهو على خطر، ومنها:

١. تحصيل العلم الشرعي؛ فتحقيق المسائل التي يُحكم بها على الآخرين ضروري لتحقيق العدل مع الناس، ومن قصَّر في تحصيله فليس بمعذور أن يحكم أو يتعامل مع أحد بمعاملة يكرهها.

٢. التأني قبل اتخاذ أي إجراء مع المخالف، وهذا التأني يكون في تخريج المناط وفي تحقيقه.

٣. العلم بواقع الحال، من معرفة حال المخالف الذي نتعامل معه، من ناحية علمه وجهله بما فعله، والأسباب والدوافع لذلك الفعل، وأسباب المعذرة، ومعرفة ما لديه من حسنات قد تغمر ما بدا منه من خطأ أو زلل[2].

فهذا حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه فعل أمراً عظيماً بتسريب خبر توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة لغزوها؛ فتأنى النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله عن الفعل أولاً بقوله: ((**يا حاطب ما هذا**))؟ ثم سأله عن السبب بقوله ((**ما حملك على هذا**)) وهذا يدل أن للأسباب والدوافع تأثيراً في الحكم؛ ثم أعفاه من العقوبة، حين وازن بين سيئاته

[1] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ٢٩٨/٦، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر حديث رقم ٣٤٠٦، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ ط٢، ١٣٩٢هـ.

[2] مقدمة في منهج التعامل مع المخالف، سليمان بن عبدالله الماجد، مقال منشور في الموقع الرسمي للشيخ سليمان الماجد، www.salmajed.com/node/252.

وحسناته، فقال ((**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**))[1].

ومن مقتضيات العدل مع المخالفين ما يلي:

١. ذكر محامد المخالف ومحاسنه، ومن ذلك ما كان يذكره النبي صلى الله عليه وسلم في النجاشي حين أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فقد ذكر لهم صدقه وعدله وأنه لا يظلم، والنجاشي كان نصرانيًّا آنذاك.

٢. قبول الحق منهم، ومن ذلك ما جاء عن قتيلة وهي امرأة من جهينة، أن يهوديًّا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تندِّدون وإنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون والكعبة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ((**ورب الكعبة**)) ويقولوا: ((**ما شاء الله ثم شئت**))[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر، فقال: ((**نعم، عذاب القبر**))، قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر زاد غندر ((**عذاب القبر حق**))[3].

ففي الحديثين تأكيد لقبول الحق بغض النظر عمن صدر منه هذا الحق، وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله: ((والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق، وألا نقول عليه إلا بعلم، وأمرنا

---

[1] انظر القصة بأكملها في صيحيح البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، حديث رقم ٣٧٦٢، ١٤٦٣/٤. وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، حديث رقم ٦٥٥٧، ١٦٧/٧.

[2] رواه النسائي في سننه، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة ، حديث رقم ٣٧٧٣، ٦/٧. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ٩/٣.

[3] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم ١٣٠٦، ٤٦٢/١.

بالعدل والقسط، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني فضلاً عن الرافضي قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق))[1].

بل إن النهج النبوي ذهب إلى أبعد من ذلك في قبول الحق من قائله، حتى ولو كان القائل هو الشيطان، كما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت لأرفعنّك إلى رسول الله فقص الحديث، فقال إذا أَوَيْتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي؛ فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ((**صدقك وهو كذوب**))[2]، فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بيّن لأبي هريرة رضي الله عنه أن ما ذكره الشيطان له في فضل آية الكرسي حق، على الرغم من كذب الشيطان وفجوره، و لم يمنع النبي صلى الله عليه وسلم أبا هريرة من قبول كلامه إذ أنه حق وصدق، والحديث بهذا يدل على قبول الحق من المخالفين.

ويوضح ابن القيم رحمه الله تعالى أن هذا من الإنصاف والعدل مع المخالف أيًّاً كان هذا المخالف، فيقول: ((والله تعالى يحب الإنصاف، بل هو أفضل حلية تحلى بها الرجل، خصوصًا من نصب نفسه حكمًا بين الأقوال والمذاهب))[3]، وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[4]،

[1] منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، ٢/١٩٩.

[2] صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، حديث رقم ٤٧٢٣، ٤/١٩١٤.

[3] إعلام الموقعين، لابن القيم، ٣/٩٤، (مرجع سابق).

[4] سورة الشورى، آية رقم ١٥.

فالسائرون على هذا النهج من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، منصبهم العدل بين الناس، لا أن يميلوا مع أوليائهم وموافقيهم ومتبوعيهم بظلم أعدائهم ومخالفيهم، بل يكون الحق مطلبهم، يسيرون في طريقه، وينزلون بنزوله، يدينون بدين العدل والإنصاف، ويحكمون بما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٣. التجرد عن الهوى:

الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، وسبب تسميته بذلك: ((لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية))[1]، ويعرفه بعضهم بقوله: ((كل ما خالف الحق وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد))[2].

وهو خلق ذميم، فهو عن الخير صاد وللعقل مضاد، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً وطريق الشر مسلوكا[3].

ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((الهوى إله يُعبد من دون الله؛ ثم تلا هذه الآية ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [4][5].

ولما سُئل أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه عن هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾[6] قال: ((أما والله لقد سألت عنها خبيرا، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ((**بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر،**

---

[1] المفردات، للراغب الأصفهاني، ص٥٤٨، (مرجع سابق).

[2] الهوى وأثره في الخلاف، عبدالله بن محمد الغنيمان، ص١٢، دار الوطن ــ الرياض ـــ، ط١، ١٤١٢هــ.

[3] أدب الدنيا والدين، للماوردي، تحقيق: محمد كريم راجح، ص٢٣، دار اقرأ ـــ بيروت ــ ط٤، ١٤٠٥هــ.

[4] سورة الجاثية، آية رقم ٢٣.

[5] أدب الدنيا والدين، للماوردي، ص٢٣ ــ ٢٤، (مرجع سابق).

[6] سورة المائدة، آية رقم ١٠٥.

حتى إذا رأيت شُحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنياً مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام))[1].

ولذا كان لزاماً على المحتسب حال تعامله مع مخالفيه، أن يتجرد من هواه ورغباته وميوله النفسية وأن يجرد مقاصده لله، وأن يحكم بشرع الله، وبذلك تنفذ الكلمات والعظات، بل مطلق التعامل إلى عقل المخالف وقلبه وتجد منه أذناً صاغية، وقلباً واعياً؛ والعكس بالعكس، لأن حبل التواصل إن كان منسوجاً من الهوى والعصبية فإنه ينقطع ولا بد، وفي أسرع وقت[2].

وإذا كان المحتسب متجرداً عن الهوى في تعامله مع مخالفيه، كان التقويم والحكم صواباً بإذن الله، ولذلك قال عز وجل لنبيه داود عليه السلام ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾[3] ولأن التجرد عن الهوى يجعله لا ينسى ما لمخالفه من محاسن يمكن أن تكون ميزان عدلٍ في الحكم عليه، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ﴾[4].

فالهوى أمر خفي يتسلل إلى قلب المرء بالتدريج حتى يسيطر عليه وهو لا يشعر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ولرسوله في ذلك ولا يطلبه ولا يرضى لرضى الله ورسوله ولا يغضب

---

[1] رواه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، حديث رقم ٤٣٤١، ٢١٥/٤. والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، حديث رقم ٣٠٥٨، ٢٥٧/٥، وقال: حسن غريب.

[2] فقه التعامل مع المخالف، عبدالله بن إبراهيم الطريقي، ص٣٨، (مرجع سابق).

[3] سورة ص، آية رقم ٢٦.

[4] سورة النساء، آية رقم ١٣٥.

لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين أن الذي يرضى له ويغضب له أنه السنة وأنه الحق وهو الدين فإذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام و لم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ليعظم هو ويثنى عليه أو فعل ذلك شجاعة وطبعاً أو لغرض من الدنيا، لم يكن لله و لم يكن مجاهداً في سبيل الله ، فكيف إذا كان الذي يدعي الحق والسنة هو كنظيره معه حق وباطل وسنة وبدعة ومع خصمه حق وباطل وسنة وبدعة))؟ [1].

فعُلِم بهذا أن التجرد عن الهوى أصل مهم لمن أراد التعامل مع المخالفين.

٤. تقديم حسن الظن ما أمكن:

هناك من تكون مخالفته بقصد الإصلاح، وهناك من تكون مخالفته بقصد الإفساد؛ وفي معرفة أهل الحسبة لمقاصد مخالفيهم أهمية بالغة، لمعرفة كيفية التعامل معهم، فالتعامل مع مريدي الخير وإن أخطئوا، يختلف تماماً عن قاصدي الشر والإفساد، لذا كان على أهل الحسبة تقديم حسن الظن بدءاً حتى يتبينوا حال مخالفيهم ومقاصدهم من هذه المخالفة، إذ الأصل هو إحسان الظن بالناس حتى يتبين خلافه بدليل قاطع لا شك فيه، قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [2]. ففي هذه الآية الكريمة يأمرنا الله عز وجل أن نجتنب كثيراً من الظن؛ و لعلنا نلاحظ قوله تعالى ﴿كَثِيرٗا﴾ لأن بعض هذا الظن الكثير إثم، ولعلنا نلمس جانباً من

[1] منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، ١٧٦/٥، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، ت:ب.

[2] سورة الحجرات، آية رقم ١٢.

إحسان الظن في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع من يُظن فيه عدم احترام بيوت الله جل وعلا، وذلك في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فلم يزجره ولم ينهره ولم يأمر بعقابه، بل قدم صلى الله عليه وسلم حسن الظن بذلك الأعرابي لجهله بطبيعة الحياة المدنية، فبيئته تختلف عن حياة الحاضرة، فعلمه صلى الله عليه وسلم بالأسلوب المناسب للمخالف له فقال: ((**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن**))[1] وهذا شأنه صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الجاهل، أما المعاند فيختلف التعامل معه.

ثم إن سوء الظن بالمخالف الذي لم يشتهر بفساد وخيانة، قد يوقعه في مخالفة أكبر، وقد يبعده عن الحق أكثر، وذلك ظاهر في الحديث الآنف الذكر، حيث انتهت القضية، ولم تأخذ أبعاداً أخرى من مخاصمة ومجادلة قد تؤول إلى ابتعاد هذا الأعرابي عن الحق وتنفيره منه، بل عرف الحق وفهمه وآمن به، حتى قال: ((اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحدا))[2].

ويؤيد هذا تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من سوء الظن بالناس، لما يترتب على سوء الظن بهم من مفاسد، فعن المقدام بن معدي كرب عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((**إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم**))[3] لأن ذلك يحصل بسوء الظن، وكل ما حصل بسوء الظن فإنه يحصل منهم أيضاً إساءة الظن، وقد يحصل منهم أمور

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، حديث رقم ٢٢٠، ٣٢٣/١. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات، حديث رقم ٦٨٧، ١٦٣/١.

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم ٥٦٦٤، ٢٢٣٨/٥.

[3] رواه أحمد في مسنده، حديث رقم ٢٣٨٦٦، ٤/٦. ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس، حديث رقم ٤٨٩١، ٤٢٣/٤. وقال الألباني: صحيح، انظر: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، ٢٤٢/١. المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ ط٣، ١٤٠٥هـ.

يكونون قد أفسدوا فيها، وقد يكون السبب في ذلك هو ظن السوء بهم، فيؤدي بهم إلى ارتكاب ما ظن بهم ورموا به فيفسدهم[1].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ((لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً))[2].

أما الرد والبيان فلا يمنع منه كون الكلام محتملاً، فلو خشي المحتسب تأثير كلام المخالف على أحد، فلينكر ذلك مع الاحتراز له، كأن يقول: إن كان المعنى المقصود كذا فهو حق، وإلا فهو باطل، ونحو ذلك.

٥. التثبت والتبين.

يقع الظلم والعدوان على المخالف أحياناً بسبب العجلة وأخذ الكلام من مصادر غير معتبرة؛ إما في ورعها، وإما في ضبطها وحسن فهمها، ولهذا يجب على أهل الحسبة أن يتثبتوا ممن نسبت إليه المخالفة قبل الشروع في الاحتساب عليه، يقول الله تبارك وتعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَـٰدِمِينَ ﴾[3].

فأمر الله عز وجل عباده المؤمنين ـــ وأهل الحسبة داخلون في هذه الأمر ولا شك ـــ إلى التثبت والتحقق من وقوع الخبر، قبل القيام بأي إجراء تجاه الآخرين حتى لو كان الناقل والمُبلغ مسلماً، لئلا يُظلم أحد ويتهم بما ليس فيه[4].

---

[1] فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي، ٤٠٩/٢، دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ط١، ١٤١٥هـــ.

[2] شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه د. عبدالعلي بن عبدالحميد حامد، ٥٥٩/١٠، مكتبة الرشد ـــ الرياض ـــ، ط١، ١٤٢٣هـــ.

[3] سورة الحجرات، آية رقم ٦.

[4] الصفات الخاصة بالمحتسب، ص١٩٦، (مرجع سابق).

قال القرطبي رحمه الله: ((وفي الآية دليل على فساد قول من قال: إن المسلمين كلهم عدول، حتى تثبت الجُرحة، لأن الله تعالى أمر بالتثبت قبل القبول، ولا معنى للتثبت بعد إنفاذ الحكم، فإن حكم الحاكم قبل التثبت، فقد أصاب المحكوم عليه بجهالة))[1].

والتبين والتثبت من أهم ما ينبغي لأهل الحسبة، لأنهم يتعاملون مع من ورد عنه الخبر، فالواجب حينئذٍ التثبت والتبين وعدم الاعتماد على (قيل لي) و (زعموا) و (بلغني)...الخ.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم ((**بئس مطية الرجل زعموا**))[2].

فعلى المحتسب أن لا يتخذ أي إجراء ما لم يتثبت من وقوع المخالف فيما يوجب الإنكار عليه، لأن اتهامه بما ليس فيه، يوقع المحتسب في تجاوزات شرعية ونظامية عديدة تضر به، وبولايته.

وهنا يجب تنبيه أهل الحسبة إلى أن هناك بعضاً من المخالفين المتربصين، يسعون إلى الإيقاع بهم وجر التهم إلى ولايتهم، حرصاً منهم على إضعاف هذه الولاية، لأنها تحارب ما يسعون إليه من الفساد في المجتمعات.

وهذه الآية تعتبر أصلاً عظيماً في تصرفات ولاة الأمور، وفي تعامل الناس بعضهم مع بعض من عدم الإصغاء إلى كل ما يروى ويُخبر به[3].

ومثلها في الدلالة على وجوب التبين وأهميته قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير بخاري، ٢٤٨/٦، دار عالم ــ الرياض ــ ط: ب، ١٤٢٣هــ.

[2] رواه أحمد في مسنده، حديث رقم ١٧١١٦، ١١٩/٤. ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب قول الرجل زعموا، حديث رقم ٤٩٧٢، ٢٩٤/٤. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم ٤٩٧٤، ٤٤٩/٤.

[3] انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٣١/٢٦، (مرجع سابق).

مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[1]

وقد دلت الآية على حكمة عظيمة في حفظ الجامعة الدينية، وهي بث الثقة والأمان بين أفراد الأمة، وطرح ما من شأنه إدخال الشك لأنه إذا فتح هذا الباب صعب سده، وكما يَتَّهم المُتَّهم غيره فللغير أن يتهم من اتهمه، وبذلك ترتفع الثقة، ويسهل على ضعاف الإيمان المروق، إذ أصبحت التهمة تظل الصادق والمنافق، وانظر إلى معاملة النبي صلى الله عليه وسلم كيف عامل المنافقين معاملة المسلمين في الأمور الظاهرة[2].

ومجالات التثبت التي يحتاج إليها أهل الحسبة متنوعة[3]، والذي يعنينا هنا هو تثبتهم عند التعامل مع المخالفين، فلا ينبغي لهم أن يتعجلوا في اتخاذ أي موقف، أو بناء أي حكم حتى يمتثلوا أمر الله تعالى بالتثبت والتبين، فيسلموا من الندامة.

ولقد كتب الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في أحد رسائله ناصحاً بعض أتباعه بالتثبت، وأن لا يقبلوا الكلام على عواهنه من كل أحد، فقال: ((فالواجب عليهم إذا ذكر لهم عن أحد منكر عدم العجلة، فإذا تحققوه منه، أتوا صاحبه، ونصحوه، فإن تاب ورجع وإلا أُنكر عليه وتكلم فيه علانية، فعلى كل حال نبهوهم إلى مسألتين:

الأولى: عدم العجلة، ولا يتكلموا إلا مع التحقيق فإن التزوير كثير.

الثانية: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف المنافقين بأعيانهم، ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله، فإذا ظهر منهم وتحقق ما يوجب جهادهم جاهدهم والسلام))[4].

---

[1] سورة النساء، آية رقم ٩٤.

[2] انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٦٨/٥، (مرجع سابق).

[3] للاستزادة انظر: قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. حمود الرحيلي، ص٤٢ وما بعدها، المكتبة الشاملة.

[4] الدرر السنية في الكتب النجدية، عدد من علماء نجد الأعلام، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ٥٢/١٠، المكتبة الشاملة، ط٦، ١٤١٧هـ.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُربي أصحابه رضي الله عنهم على ذلك، فيقول صلى الله عليه وسلم حاثاً على التثبت والتأني وعدم العجلة ((**التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة**))[1]، ويقول صلى الله عليه وسلم مثنياً على أشج بن عبد قيس رضي الله عنه ((**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناة**))[2].

ولهذا كله كان لا بد لأهل الحسبة أن يتثبتوا في سائر أمورهم، خاصةً في التعامل مع مخالفيهم، ومعرفة حقيقة مخالفتهم، حتى لا يضروا بأنفسهم، ولا بولايتهم، ويتجنبوا ظُلم مخالفيهم.

ويجب التنبيه هنا على أن التثبت والتبين، لا يعني البطء والتأخر وتفويت المصلحة، فلا بد للمحتسب أن يعرف الفرق بين المبادرة، وهي أن يأتي بالاحتساب في موضعه الصحيح مع التأني والتثبت، وبين العجلة[3]، ويوضح هذا الفرق الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى بقوله: ((المبادرة: انتهاز الفرصة في وقتها، ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها، بل إذا حضر وقتها بادر إليها، ووثب عليها وثوب الأسد على فريسته، فهو بمنزلة من يبادر إلى أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وإدراكها، والعجلة: طلب أخذ الشيء قبل وقته، فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل أوان إداركها، ولهذا كانت العجلة من الشيطان، فإنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعاً من الشرور، وتمنعه أنواعاً من الخير، وهي قرين الندامة، فقلَّ من استعجل إلا ندم))[4].

---

[1] رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرفق، حديث رقم ٤٨١٠، ٦٧٠/٢. وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم ٤٠٢٥، ٩١٣/٣.

[2] رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين، حديث رقم ١٢٦، ٣٦/١.

[3] الصفات الخاصة بالمحتسب، عبدالله بن محمد المطوع، ص٢٠٢، (مرجع سابق).

[4] الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لابن قيم الجوزية، ٣٨٢، دار الكتاب العربي ـــ بيروت ـــ، ط١، ١٤١٧هـــ.

٦. الحرص على إظهار الحق للمخالف لينتفع به:

فيكون الباعث على التعامل معه، هو نصحه بما تراه من الحق؛ لا أن يكون القصد إرغامه وإظهار خطئه عند الناس، أو التشفي بمعاقبته.

فانطلاق المحتسب من الشعور بالشفقة على المخالف وحرصه على صلاحه، وإنقاذه من هوة الضلال، يساعده كثيراً على أداء وظيفته الجليلة على أكمل وجه، فإن هذه المشاعر المخلصة السامية هي الدواء الشافي لأمراض الهوى والانتصار للذات، وهي الدرع الواقي من الاندفاع خلف تحصيل حظوظ النفس بقطع النظر عن المصلحة الشرعية[١].

من هذا المنطلق كان سادة المحتسبين من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يتحملون ما ينالهم من الأذى، وهم في أشد الحرص على مواصلة استصلاح واستنقاذ المخالفين لهم.

ففي الوقت الذي كان يضحي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يملك من أجل أن يقنع جبابرة قريش، وأن يضمهم إلى أهل الحق، كان هؤلاء يواجهونه بالسخرية والتعنت والإهانة والاعتداءات المتكررة؛ ومع هذا كله فقد أصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم من الهم والغم على حالهم وبعدهم عن منهج الله تعالى، حتى أن الله تعالى قال له ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾[٢] وقال سبحانه ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾[٣] وقال ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٤] أي: مهلك نفسك مما تحرص عليهم[٥]، ولهذا قال ﴿ فَلَعَلَّكَ

---

[١] قواعد منهجية وفوائد تربوية من المرحلة المكية في السيرة النبوية، إيهاب كمال أحمد، ص٥٨، بحث منشور في شبكة الألوكة الالكتروني.

[٢] سورة فاطر، آية رقم ٨.

[٣] سورة النحل، آية رقم ١٢٧.

[٤] سورة الشعراء، آية رقم ٣.

[٥] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٦/١٣٥، (مرجع سابق).

بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[1]، قال قتادة: ((قاتلٌ نفسك غضباً وحزناً عليهم))[2].

ومن تلك الأمثلة الرائعة على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية المخالف، واستنقاذه من عذاب الله جل وعلا، ما روى الطفيل بن عمرو الدوسي: ((أنه جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اجتهد في دعوة قومه دوس إلى الإسلام فأبطؤوا عليه، فقال: يا رسول الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم، فلم يُقره رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ذلك ولم يدع على دوس، بل قال في حرص على هدايتهم وصلاحهم، وشفقة ورحمة بهم ((**اللهم اهد دوسًا**)) ففضل الدعاء لهم بالهداية على الدعاء عليهم، ثم وجه الطفيل إلى الاستمرار في محاولة استصلاح أحوالهم مع الرفق بهم قائلاً ((**ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم**)) فلم يزل الطفيل بأرض دوس يدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة))[3].

ولذلك أصبح هذا الرسول العظيم بحقٍ كما وصفه ربه ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

وقد جاء أصحابه رضوان الله عليهم، فسلكوا المنهج نفسه في الحرص على هداية مخالفيهم، والرغبة الصادقة في أن يصلحوا ما بينهم وبين الله تعالى؛ وسيرهم العطرة مليئة بهذا،

[1] سورة الكهف، آية رقم ٦.
[2] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١٣٧/٥، (مرجع سابق).
٣ انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، ٢٢٨/٢، (مرجع سابق).
[4] سورة التوبة، آية رقم ١٢٨.

وبالأخص سير الجهاد التي كان طابعها التسامح، والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن[1].

ومن صور هذا الحرص:

١. البدء بالدعوة قبل القتال، وحث الناس على قبولها والتحذير من ردها.

٢. الفرح باستجابة الناس، والحزن على إعراضهم.

٣. بعث المصلحين والدعاة[2].

وهكذا كان التابعون ومن تبعهم بإحسان، فهاهو زهير بن نعيم السجستاني يقول: ((وددت أن هذا الخلق لو أطاعوا الله وأن لحمي قرض بالمقاريض))[3].

وغير هذا كثير منثور في كتب السير وغيرها؛ فكم نجد ونحن نقرأ في سِيَرِهم وتعاملاتهم مع أصناف المخالفين من الحرص على إصلاحهم والرغبة في تحقيق سعادتهم ونجاتهم.

ولو لم تكن تلك المشاعر الصادقة المجردة عن حب الظهور والتشفي بكل مخالف، لكان نتيجة ذلك خسارة الكثير من الشخصيات العظيمة التي تحولت بعد ذلك من الإفساد إلى الإصلاح، ومن الفجور إلى البِر، ومن محاربة الدين وأهله إلى نصرتهم، فكان ذلك خيرٌ وفتحٌ لهم ولدينهم.

---

[1] انظر: فقه التعامل مع المخالف، عبدالله بن إبراهيم الطريقي، ص٤٣، (مرجع سابق).

[2] للاستزادة انظر: الحرص على هداية الناس، د. فضل إلهي ظهير، ص٤١ وما بعدها، مكتبة المعارف ــ الرياض ــ ط٢، ١٤١٢هـ.

[3] انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ٣/٣٥٣، دار الفكر ــ بيروت ــ، ط١، ١٤٠٤هـ.

٧. اعتبار حسنات المخالف وموازنتها بسيئاته:

وذلك بأن ينسب الفعل الذي خالف فيه إلى بقية أعماله الأخرى، فإن غلب خير المخالف على شره كان الحكم للغالب، وكان الحكم الإجمالي عليه بذلك وهذا ليس مطرداً.

فهذا النبي صلى الله عليه وسلم جعل مسيره إلى قريش سراً؛ ليجعل من عنصر المفاجأة سبباً لحسم المعركة، فقام حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه بأمر خطير جداً، حيث سعى لتبليغ المشركين بذلك.

فلما سأله النبي صلى الله عليه وسلم ((**ما حملك على ما صنعت**)) قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله، أردت أن تكون لي عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحدٌ من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال صلى الله عليه وسلم ((**صدق ولا تقولوا له إلا خيراً**)) فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه، فقال ((**أليس من أهل بدر؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم**)) فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم[١].

قال ابن القيم رحمه الله: ((وقد ارتكب ــ أي حاطب ــ مثل ذلك الذنب العظيم فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه شهد بدراً، فدل على أن مقتضى عقوبته قائم لكن منع من ترتيب أثره عليه ما له من المشهد العظيم، فوقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ما له من الحسنات))[٢].

وثبت في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان يُلَقَّبُ حِماراً، وكان يُضحك رسول الله صلى الله عليه

---

[١] رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، حديث رقم ٣٧٦٢، ١٤٦٣/٤. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، حديث رقم ٦٥٥٧، ١٦٧/٧.

[٢] مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، ١٧٦/١، (مرجع سابق).

وسلم، فأتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ((**لا تلعنوه فوالله ما علمتُ ــ** أي الذي علمته ــ **أنه يحب الله ورسوله**))[1]، فهذا الصحابي زلت قدمه، بل وأتى كبيرةً من كبائر الذنوب، ولكن له من الصفات الحميدة ما توجب محبته وموالاته؛ وعلى هذا النهج سار خير الأمة من التابعين فمن بعدهم، يقول سعيد بن المسيب رحمه الله: ((إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن نذكر عيوبه، ومن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله))[2].

وللإمام ابن القيم رحمه الله في هذه المسألة كلام نفيس حيث يقول: ((من قواعد الشرع والحكمة أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل منه ما لا يحتمل من غيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل فإنه يحمل أدنى الخبث. إلى أن قال : ... وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرهم أن من له ألوف الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها...، وكما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحدٍ *** جاءت محاسنه بألف شفيع

وقول الآخر :

وإن يكن الفعل الذي ساء واحداً *** فأفعاله اللاتي سررن كثير

والله سبحانه يوازن يوم القيامة بين حسنات العبد وسيئاته فأيهما غلب كان التأثير له))[3].

---

[1] رواه البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، حديث رقم ٦٣٩٨، ٢٤٨٩/٦.

[2] البداية والنهاية، لابن كثير، ١٠٠/٩، (مرجع سابق).

[3] مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، ١٧٦/١-١٧٧، (مرجع سابق).

ويقول رحمه الله: ((فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات وتعطلت معالمها))[1].

ويقول ابن رجب رحمه الله: ((والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه))[2].

إن لبعض الناس قابلية لعلوق الأخطاء في قلبه، فيما لا يرى الحسنات ولا يعتد بها؛ وهذا من شأنه أن يولد الحقد والكراهية، مما يحمله على العدوان على المخالف وبخسه حقوقه.

وأختم بقول شيخ الإسلام الذي يؤصل فيه لهذا المنهج فيقول رحمه الله: ((وإنه كثيراً ما يجمع في الفعل الواحد، أو في الشخص الواحد الأمران: فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر كما يتوجه المدح والأمر والثواب إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية الفجورية لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على بعض الحسنات البرية، فهذه طريق الموازنة الحقة))[3].

وهذا في غاية الدقة؛ فعلى أهل الحسبة الحذر من الخروج عن جادة الاعتدال في هذا المقام، وعدم تحقيق الاتزان، فيخرجوا إلى طرفي الإفراط والتفريط.

---

[1] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، ٣٩/٢، (مرجع سابق).

[2] القواعد، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ٣/١، مكتبة نزار مصطفى ـــ مكة المكرمة ـــ ط: ب، ١٩٩٩م.

[3] الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ٣٦٦/١٠، دار الكتب العلميـــة، ط١، ١٤٠٨هـــ.

٨. مراعاة المصالح والمفاسد:

إن من قواعد الشريعة تحمل أدنى المفسدتين لدرء أعلاهما[١]، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات وأكبر الأصنام ولا يغيرها، وترك المنافقين ولم يقتلهم مع ثبوت كفرهم لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه.

والتعامل مع كل مخالف منوط بهذه القاعدة، فلا يسوغ في هذا التعامل السعي لجلب مصلحة إذا ترتب على ذلك مفسدة أكبر؛ فقد نهى الله تعالى عن سب آلهة المشركين لما يترتب على ذلك من مفسدة أعظم من مصلحة سبِّها، قال تعالى ﴿ **وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ** ﴾[٢].

يقول ابن القيم رحمه الله: ((إن النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله))[٣].

وعلى هذا؛ فإذا كان في هذا التعامل ضرر متعدٍّ أو مسلتزم لما هو أكبر منه فإنه لا يسوغ الإنكار بحال، فالضرر لا يزال بضرر أكبر منه أو مثله؛ وإذا كان لابد من ارتكاب أحد الضررين، فيرتكب أخف الضررين وأهون الشرين، ويحتمل الضرر الأدنى، لدفع الضرر الأكبر؛ وفي امتناع النبي صلى الله عليه وسلم عن هدم الكعبة وإعادة بنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام شاهد ظاهر لهذا، حيث قال عليه الصلاة والسلام: ((**يا عائشة لولا أن**

---

[١] انظر فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، ١٥٧/٢، مطبعة الحكومة ــ مكة المكرمة ــ، ط١، ١٣٩٩هــ.

[٢] سورة الأنعام، آية رقم ١٠٨.

[٣] إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، ٣/٤.

قومك حديث عهد بجاهلية، لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أُخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين: باباً شرقياً، وباباً غربياً، فبلغت به أساس إبراهيم))[1].

يقول النووي في شرح الحديث: ((وفي الحديث دليل لقواعد من الأحكام: منها: إذا تعارضت المصالح، أو تعارضت مصلحة ومفسدة، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة؛ بدأ بالأهم؛ لأن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم عليه السلام مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، وهي: خوف فتنة بعض من أسلم قريبًا، وذلك لما كانوا يعتقدون من فضل الكعبة، فيرون تغييرها عظيما، فتركها صلى الله عليه وسلم))[2].

وفي مثل هذا المعنى يقول ابن تيمية رحمه الله: ((وجماع ذلك داخل في القاعدة فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته))[3].

وكذلك فإن المفسدة الصغيرة تغتفر في المصلحة الكبيرة، ولا تترك مصلحة متحققة من أجل مفسدة متوهمة.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: ((إذا اجتمعت مصالح ومفاسد؛ فإن أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد؛ فعلنا ذلك؛ امتثالاً لأمر الله تعالى، لقوله سبحانه وتعالى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، حديث رقم ١٥٠٩، ٥٧٤/٢. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، حديث رقم ٣٣٠٧، ٩٧/٤.

[2] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، ٤٨٧/٤، دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت ـــ، ط٢، ١٣٩٢هـــ.

[3] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن تيمية، ص١١، وزارة الشؤون الإسلامية، ط١، ١٤١٨هـــ.

مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[1]، وإن تعذر الدرء والتحصيل، فإن كانت المفسدة أعظم من المصلحة؛ درأنا المفسدة، ولا نبالي بفوات المصلحة، قال الله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[2]، فقد حرمهما الله تعالى، لأن مفسدهما أكبر من منفعتهما، وإن كانت المصلحة أعظم من المفسدة؛ حصلنا المصلحة مع التزام المفسدة، وإن استويت المصالحة والمفاسد؛ فقد يتخير بينهما، وقد يتوقف فيهما))[3].

إذاً فالتعامل مع المخالفين بوجه عام قائم على تقدير المصالح والمفاسد، واتخاذ الموقف الأصلح والموافق لمقصود الشارع الحكيم.

٩. إعطاء المخالفين حقوقهم والإقرار لهم بها.

وهذا من آكد ما يقربهم من الحق ويجذهم إليه، ومن أهم تلك الحقوق:

أ. الإقرار لهم بالإسلام.

وهذا إذا كانت المخالفة غير مكفِّرة، وإذا كان المخالف جاهلاً أو متأولاً تأويلاً سائغاً، فقد مضى أن هؤلاء يعذرون ولا يكفرون، ويلزم على هذا الإقرار لهم بالإسلام فهم مسلمون، وهم أقرب إلى المسلمين من الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، وهذا ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول: ((كل من كان مؤمناً بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو خير من كل من كفر به، وإن كان في المؤمن بذلك نوع من البدعة، سواء كانت بدعة الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية أو غيرهم، فإن اليهود

[1] سورة التغابن، آية رقم ١٦.

[2] سورة البقرة، آية رقم ٢١٩.

[3] قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، ٨٩/١، ضبطه وصححه: عبداللطيف بن حسن بن عبدالرحمن، دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ، ط: ب، ت: ب.

والنصارى كفارٌ كفراً معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام، والمبتدع إذا كان يحسب أنه موافق للرسول صلى الله عليه وسلم لا مخالفاً له لم يكن كافرًا به، ولو قدر أنه كفر فليس كفره مثل كفر من كذَّب الرسول صلى الله عليه وسلم))[1].

ومن الأدلة على الإقرار للمخالفين بالإسلام أن علي بن أبي طالب ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يكفروا الخوارج، بل كانوا يُصلون خلفهم، كما كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يصلي خلف نجدة الحروري، فكانوا مقرين لهم بإسلامهم، ويعاملونهم معاملة المسلمين[2].

ب. عدم ظلمهم.

فقد أمر الله تعالى بالعدل، ونهى عن الجور والظلم والبغي، فقال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[3] بل إن الله سبحانه وتعالى أمر بالعدل في معاملة المخالفين، وإن كانوا لنا أعداءً، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[4].

وقد قرر النبي صلى الله عليه وسلم في سننه مبدأ العدل، ودعا إليه، وذكر عاقبة أهله، ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه قال: ((**إن**

---

١ مجموع الفتاوى: ٢٠١/٣٥، (مرجع سابق).

٢ انظر: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ١٦٨/٥، مؤسسة قرطبة، ط١، ت: ب.

٣ سورة النحل، آية رقم ٩٠.

٤ سورة المائدة، آية رقم ٨.

المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حُكْمهم وأهليهم وما وُلُّوا))[1]. قال النووي رحمه الله: ((والمقسطون هم العادلون، وأما قوله الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا، فمعناه أن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة، أو نَظَر على يتيمٍ أو صدقةٍ أو وقفٍ، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك، والله أعلم[2])).

فالنهي عن ظلم الناس ومن جملتهم المخالفين أمرٌ قرره الإسلام.

ج. قبول كلام المخالف إن كان حقاً وموافقاً للشرع.

فإن أهل الحق يقبلون الحق من كل من جاء به، وفي ذلك يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه ((تلقَّ الحق إذا سمعته؛ فإن على الحق نوراً))[3].

ونجد أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قدوتنا في هذا الأمر، قبل الحق من اليهودي، حيث روت قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حَبْر من الأحبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تشركون.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**سبحان الله! وما ذاك**))؟!

قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة.

قالت: فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا، ثم قال: ((**إنه قد قال، فمن حلف فليحلف بربِّ الكعبة**)).

---

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، حديث رقم ٤٨٢٥، ٧/٦.

[2] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ٢٩٨/٦، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٣ رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، برقم ٤٦١٣، ٣٣١/٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٢١/٣.

قال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تجعلون لله نِدًّا.

قال: ((**سبحان الله! وما ذاك**))؟!

قال: تقولون: ما شاء الله وشئت.

قال: فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا، ثم قال: ((**إنه قد قال، فمن قال: ما شاء الله، فليفصل بينهما ثم شئت**))[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه عن عذاب القبر، فقال ((**نعم، عذاب القبر**)) قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر زاد غندر: ((**عذاب القبر حق**))[2]. يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: ((بل كما تشهدون لوليكم فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، فلو كان كافرًا أو مبتدعًا فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله؛ فإن هذا ظلم للحق))[3]. ويقول ابن القيم رحمه الله: ((اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضًا، ورد الباطل على من قاله وإن كان حبيباً))[4].

وقرر أنه لا يردُّ كل قول من أخطأ جملة، بل لا بد من تمييز الحق من الباطل، فقال: ((فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات))[5].

وقال أيضاً: ((فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق، ورد

---

١ رواه أحمد في مسنده، حديث رقم ٢٧٠٩٣، ٤٣/٤٥. ورواه النسائي في سننه، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة ، حديث رقم ٣٧٧٣، ٦/٧، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ٩/٣.

٢ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم ١٣٠٦، ٤٦٢/١.

٣ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي، ٤٦٥/١، (مرجع سابق).

٤ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، ٥٢٢/٣، (مرجع سابق).

٥ المرجع السابق نفسه، ٣٩/٢.

ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسر عليه من الأسباب))[1].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن من ليست لديه قدرة على تمييز الحق أو الباطل من كلام المخالفين ينهى عن قراءة كتبهم أو سماع مقالتهم، حتى لا يشتبه عليه الحق بالباطل والبدعة بالسنة.

١٠. التعاون معهم وفق المنهج الشرعي:

والمراد هنا التعاون مع المخالفين لأهل الحسبة من الذين لم يخرجوا من الإسلام، وهناك ضوابط تضبط هذا التعاون حتى لا يتهاون متهاون أو يفرط أحد، وهذه الضوابط كالتالي:

أ. أن يكون التعاون مع المخالف في المجالات التي لا خلاف فيها، أي في دائرة الحق الذي يقبله الشرع، والخير الذي يحبه الله من علم وجهاد ودعوة[2]، كما قال ابن القيم رحمه الله: ((فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له هذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسَّر عليه من الأسباب))[3].

ب. مراعاة المصلحة والمفسدة عند التعاون مع المخالف.

فإذا كان التعاون مع المخالف يؤدي إلى حصول مصلحة أعظم من مفسدة بدعته، أو درء مفسدة أكبر من مضرة بدعته، تعيّن التعاون معه؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فإذا تعذَّر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها

---

١ طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود عمر، ص٣٧٨، دار ابن القيم ــ الدمام ــ، ط٢، ١٤١٤هـ.

٢ حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي، ٢/٣٧٢، مكتبة الرشد ــ الرياض ــ، ط١، ت: ب.

٣ طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص٣٨٦-٣٨٧، (مرجع سابق).

دون مضرة ترك ذلك الواجب كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس))[1].

ج. ألا يتخذ المخالف هذه المعاونة ذريعة لنشر بدعته، أو يؤدي إلى رجحان قوته على قوة أهل السنة والجماعة.

ولا يظن ظانٌ أن في إقرار التعامل مع المخالفين الذين لم يخرجوا من الإسلام، أن في ذلك إقراراً على مخالفاتهم أو تفضيلاً لهم، وإنما بيان لمنهج الإنصاف والعدل عند أهل السنة والجماعة، وإيضاح لهذه الطريقة الشرعية للتعامل مع المخالفين التي يتحقق بها الاجتماع على الحق والاتباع للشرع، مع درء البدع وإغلاق المنافذ أمامهم، وتأليف قلوب المخالفين وبذل النصيحة لهم.

---

١ انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٢١٢/٢٨، (مرجع سابق).

المبحث الثاني

وسائل التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة

ويشتمل على:

المطلب الأول: تعريف الوسائل لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: وسائل التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

المطلب الأول: تعريف الوسائل لغة واصطلاحاً:

١. تعريف الوسائل لغة:

جمع وسيلة، وقد وردت في اللغة بمعنى المنزلة، والدرجة، والقربة[١]، وترد أيضاً بمعنى الطلب والرغبة[٢]، كما أن الوسيلة تطلق على ما يتقرب به إلى الشيء[٣]؛ ويقال: وسل إليه وسيلة، ووسل فلان إلى الله وسيلة: إذا عمل عملاً تقرب به إليه وتوسل إليه[٤].

وبالتأمل في هذه المعاني اللغوية يظهر أن الوسيلة تعني المنزلة والدرجة، يُسعى إليها بطلبها بدافع الرغبة.

٢. تعريف الوسائل اصطلاحاً:

وردت تعريفات اصطلاحية كثيرة للوسيلة لعل من أهمها ما يلي:

أ. أنها ما يستعين به المحتسب على الاحتساب على نحو نافع مثمر[٥].

ب. وعرفت بأنها: الأداة المادية المنضبطة شرعاً، الموصلة إلى غاية منضبطة[٦].

---

[١] القاموس المحيط، للفيروز آبادي، فصل الواو، مادة وسيلة، ص١٣٧٩، (مرجع سابق).

[٢] معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، مادة وسل، ص١٠٩١، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، لبنان. ط٢، ١٤١٨هـ.

[٣] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد المقريزي الفيومي، مادة وسل، ٦٦٠/٢، وزارة المعارف المصرية، ط٢، ١٣٢٥هـ.

[٤] النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تعليق أبو عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ١٦١/٥، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ، ط١، ١٤١٨هـ.

[٥] أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص٤٤٧، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٨، ١٤١٨هـ.

[٦] دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للأعراب، حمود بن جابر الحارثي، ص١٤١، دار المسلم للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ، ط١، ١٤١٩هـ.

هذه أهم التعريفات الاصطلاحية للوسائل، ويلاحظ على هذه التعريفات أنها ركزت على أن الوسائل معينة للمحتسب على إدراك أهدافه النافعة، وأن الوسيلة لا بد أن تكون مادية، ومنضبطة شرعاً؛ نظراً لأن الغاية التي ينشدها المحتسب غاية سامية، ورفيعة، ومشروعة.

المطلب الثاني: وسائل التعامل مع المخالفين:

لما كان التعامل مع المخالفين، دعوة إلى منهاج الله تعالى، وامتثالاً لأمره جل وعلا في قوله ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم ((**كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم**))[2]؛ وعملاً أساسياً من أعمال المصلحين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، كان لا بد أن تكون الوسائل المعينة على هذا التعامل منطلقة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، منضبطة بأحكامهما؛ فإن الإسلام لا يقر بأن الغاية تبرر الوسيلة، كما هو حال بعض المبادئ البشرية.

وإن أي تجاهل لحكم الشريعة في هذا الجانب يعد انحرافاً عن مسارها؛ وهذا يعني أن المحتسب لو أعمل عقله لاستخدام وسائل في التعامل مع المخالفين، ولو كانت مقربة جاذبة، أو رادعة زاجرة، لكنها غير منضبطة بالضوابط الشرعية، فإن عمله يعتبر خارجاً عن نطاق الإصلاح؛ ولخطورة هذا المسلك، فلا بد أن نتعرف على الضوابط الشرعية لهذه الوسائل، قبل الحديث عنها وبسطها؛ وهذه الضوابط كالتالي:

---

[1] سورة آل عمران، آية رقم ١٠٤.

[2] رواه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، حديث رقم ٤٣٣٨، ٢١٣/٤، وقال الألباني: حسن لغيره، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري زكي الدين، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ٢٨٦/٢، مكتبة المعارف ــ الرياض ــ، ط١، ١٤٢١هـ.

١. النص على مشروعية الوسيلة في الكتاب أو السنة، أو طلبها بوجه من أوجه الطلب.

٢. النص على تحريم الوسيلة في الكتاب أو السنة، أو النهي عنها بوجه من أوجه النهي.

٣. دخول الوسيلة ضمن القواعد الشرعية.

٣. دخول الوسيلة في دائرة المباح.

٤. خروج الوسيلة عن كونها شعاراً للكفار[١].

فعلى المحتسبين أن يراعوا هذه الضوابط، فلا يتجاوزوها ويخرجوا عنها؛ وبعد بيان هذه الضوابط فإننا نعرض لبعض الوسائل في التعامل مع المخالفين، وهي:

١. تعليم المخالفين والرد عليهم بالتي هي أحسن.

إذا صدرت من المخالفين أقوال باطلة فإن الرد عليها لازم، وخاصة إذا انتشرت بين الناس، فإن هذا من إنكار المنكر الذي هو جزء من عمل المحتسب، ولكن ينبغي أن يكون الرد على المخالف بالطريقة المشروعة، وبالتي هي أحسن، قال تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٢] وقال سبحانه ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[٣] وقال عز وجل

---

[١] انظر تفصيل هذه الضوابط: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص٢٨٦ ـــ ٣٠٠، (مرجع سابق).

[٢] سورة النحل، آية رقم ١٢٥.

[٣] سورة الإسراء، آية رقم ٥٣.

﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[1] وقال جل وعلا ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[2].

فالأصل في صياغة الرد، أن يكون بالتي هي أحسن، أما اللجوء إلى تأنيب الخصم، وتقريعه، والقسوة عليه، ضرورة تُقَدَّر بقدرها، لأن منشأها هو المخالف ذاته، بما يأتي به من كذب، وإرجاف، ومكر، وخداع، وسباب ونحو ذلك، وانظر إلى فواتح سورة البقرة حيث يقول الله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[3] فنرى هنا آيات التقريع، واللوم الشديد للمنافقين، لأنه يناسب ما هم عليه من الكذب، والحيدة عن الحق، وتلبيسه بالباطل[4].

والرد بالتي هي أحسن يقتضي أموراً مهمة، منها:

أ. الابتعاد عن الألفاظ القبيحة، والعبارات السيئة، كالسب واللمز، والنبز بالألقاب، وغير ذلك مما لا يليق بأهل الحسبة قوله ولا التلفظ به، ولا شك أن المحتسب قد يواجه الأذى الشديد، وقد تفاجئه بعض المواقف، فينبغي له أن يضبط نفسه، ويحرص على التأدب بهذا الأدب العظيم، وتأمل قول الله تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟

---

[1] البقرة، آية رقم ٨٣.

[2] سورة فصلت، الآيتان ٣٤ ــ ٣٥.

[3] سورة البقرة، الآيات ٨ ــ ١٨.

[4] الردود، بكر بن عبدالله أبو زيد، ص٦٩، دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ، بتصرف يسير.

ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1] وانظر كيف دلت هذه الآية على أن السب ليس من أدب أهل الحق ولا من طريقتهم في التعامل مع الناس، حتى ولو كانوا من المشركين[2]، كما في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الرهط من اليهود عندما دخلوا عليه فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة رضي الله عنها: ففهمتها فقلت وعليكم السام واللعنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله**)) فقالت عائشة: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**قد قلت وعليكم**))[3]؛ فإذا صدرت الألفاظ القبيحة والسيئة من المخالفين فإن ذلك لا يبرر الوقوع فيما وقع فيه إلا في حدود ما أذن الشرع به، وهو الرد بالمثل، مع أن الترفع أفضل وأحسن، والباغي للخير يسعى للاتصاف بما هو أحسن[4]، كما قال تعالى ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾[5] وقال سبحانه ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١

---

[1] سورة الأنعام، آية رقم ١٠٨.

[2] انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٧/٤٣١ ــ ٤٣٢.

[3] رواه البخاري في صحيحه،كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، حديث رقم ٥٦٧٨، ٥/٢٢٤٢. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، حديث رقم ٥٧٨٤، ٧/٤.

[4] التعامل مع المخالفين في ضوء القرآن الكريم، د. محمد بن عبدالله القحطاني، ص٥٠، (مرجع سابق).

[5] سورة النحل، الآيات ١٢٦ ــ ١٢٨.

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[1].

ب. التأني والنظر والبحث عن الطريقة التي تحقق المقصود من الرد عليهم، والمقصود هو تغيير المنكر، وإبطال الباطل، وإظهار الحق، وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال.

وهناك طرائق مختلفة للرد على المخالفين، ومن صورها:

أ. الرد بالإعراض: وهذا نوع من الرد مناسب في أحوال معينة، وقد ورد الأمر به في عدة مواضع، قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾[2] وقال تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[3] وقال سبحانه ﴿ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾[4] وقال ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن

---

[1] سورة الشورى، الآيات ٤٠ ــ ٤٣.

[2] سورة النساء، الآيات ٦١ ــ ٦٣.

[3] سورة النساء، آية رقم ٨١.

[4] سورة الحجر، الآيات ٩٠ ــ ٩٥.

﴿ مَن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[1].

وما أحوج أهل الحسبة إلى مثل هذا التوجيه الإلهي الكريم، لاسيما مع أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق، المجادلين بالباطل، بعد إقامة الحجة عليهم، فإن في مجادلتهم ومواجهتهم مع ذكرهم بأسمائهم تكريماً لهم، ورفعاً لشأنهم، مع حقارتهم ووضاعتهم وخستهم، فهم لا يقتاتون ولا يصلون إلى الشهرة التي يطمحون إليها إلا عن طريق هذه المجادلات الباطلة مع أهل العلم والصلاح، لذا تراهم يحرصون دائماً على استفزاز المؤمنين من أهل الغيرة بأقوالهم وكتاباتهم، التي تنال من الدين وأهله، لاسيما في زمن الضعف والهوان، ودعاوى الحرية واحترام حقوق الإنسان فيما يزعمون!، فالله المستعان[2]، وما أحسن قول الإمام الشافعي رحمه الله حيث يقول:

يخاطبني السفيه بكلّ قبحٍ ... فأكره أن أكـــون له مجيباً
يزيد سفاهة وأزيد حلماً ... كعود زاده الإحراق طيباً[3]

وهذا الإعراض لايعني ترك البيان لباطلهم، وإنما يعني الإعراض عن جهالاتهم وعدم الاشتغال بهم، مع بيان الحق وبذل النصح بالطريقة المناسبة التي يحصل بها المقصود، ولذلك أمر الله بوعظ المخالف مع الإعراض عنه[4]، فقال ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾[5] يقول ابن عاشور رحمه الله: ((فهذا الإعراض إعراض صفح أو إعراض عدم الحزن من صدودهم عنك، أي لا تهتم بصدودهم، فإن الله مجازيهم،

---

[1] سورة النجم، آية رقم ٢٩.

[2] مقتضب من مقال للدكتور محمد بن عبدالعزيز المسند بعنوان: أيها الداعي أعرض عن الجاهلين، منشور في موقع شبكة نور الإسلام، www.islamlight.net/index2.php?option=content.

[3] ديوان الإمام الشافعي، تحقيق: سليم بن إبراهيم سليم، ص٥٢، مكتبة ابن سينا ـــ القاهرة ـــ، ط١، ت: ب.

[4] التعامل مع المخالفين، ص٥٢، (مرجع سابق).

[5] سورة النساء، آية رقم ٦٣.

بدليل قوله: ((وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا))، وذلك إبلاغ لهم في المعذرة، ورجاءً لصلاح حالهم، شأن الناصح الساعي بكل وسيلة إلى الإرشاد والهدى))[1].

ولقد كان سيد المحتسبين صلى الله عليه وسلم يعرض عن جهالات الجاهلين، ومخاصمات المخاصمين، كما في حديث أنس رضي الله عنه حيث يقول: ((كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء))[2].

قال النووي رحمه الله: ((فيه احتمال الجاهلين، والإعراض عن مقابلتهم، ودفع السيئة بالحسنة، وإعطاء من يُتألف قلبه، والعفو عن مرتكب كبيرة لا حد فيها بجهله، وإباحة الضحك عند الأمور التي يتعجب منها في العادة، وفيه كمال خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلمه وصفحه الجميل))[3].

ب. الرد بالإقناع والتعليم: وهذا يكون في حق الجاهل بالحكم، والباحث عن الحق، وهذا ما فعله المنكرون في قصة أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر، حيث أنكرت أمة منهم على الطائفة التي كانت تنهى عن المنكر قائلة: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فأجابوهم قائلين: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[4].

---

[1] التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٠٨/٥.

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الخمس، باب ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم، حديث رقم ٢٩٨٠، ١١٤٨/٣. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، حديث رقم ٢٤٧٦. ١٠٣/٣.

[3] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ١٤٨/٧.

[4] سورة الأعراف، آية رقم ١٦٤.

ج. الرد بالمجادلة بالحسنى: قال تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[1] وهذا يكون مع الذي خالف الحق لشبهات عرضت له، فهو يثيرها، ويشوش على الناس بها، فلا بد من جداله بالتي هي أحسن لبيان الحق، ورد الشبهات[2].

قال ابن القيم رحمه الله تعليقاً على هذه الآية الكريمة: ((فذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو فإنه إما أن يكون طالباً للحق راغباً فيه محباً له مؤثراً له على غيره إذا عرفه؛ فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة ولا جدال، وإما أن يكون معرضا مشتغلا بضد الحق ولكن لو عرفه آثره واتبعه؛ فهذا يحتاج مع الحكمة إلى الموعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون معاندا معارضا؛ فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع إلى الحق وإلا انتقل معه من الجدال إلى الجلاد إن أمكن))[3].

د. الرد بالموعظة والقول البليغ: الموعظة هي تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب[4]، ويقول ابن عاشور: ((هي بيان حكم الله تعالى مع الترغيب في الانقياد لله، والترهيب من مخالفة أمره[5]، وأما القول البليغ فهو: البالغ في النفوس المتغلغل فيها))[6].

يقول الله تعالى ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾[7]

---

[1] سورة النحل، آية رقم ١٢٥.

[2] التعامل مع المخالفين، ص٥٣، (مرجع سابق).

[3] الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله، ١٢٧٦/٤، ط٣، دار العاصمة ١٤١٨هـ.

[4] لسان العرب، لابن منظور، ٤٦٦/٧، (مرجع سابق).

[5] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، ١٨٤/١، (مرجع سابق).

[6] انظر التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٠٨/٥، (مرجع سابق).

[1] أي: ((قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يغتمون به اغتماماً، ويستشعرون منه الخوف استشعاراً، وهو التوعُّدُ بالقتل والاستئصالِ، والإيذانُ بأن ما في قلوبهم من مكنونات الشرِّ والنفاقِ غيرُ خافٍ على الله تعالى وأن ذلك مستوجبٌ لأشد العقوبات، وإنما هذه المكافأة والتأخير لإظهارهم الإيمانَ والطاعةَ وإضمارهم الكفر، ولئن أظهروا الشقاق وبرزوا بأشخاصهم من نفق النفاق لَيمسَّنهم العذابُ إن الله شديدُ العقاب))[2].

٢. التخطيط:

التخطيط: مصدر خطَّطَ يُخطط، أي وضع خُطَّة، والخُطَّةُ: الأمر أو الحالة، وفي المثل: (فلان جاء وفي رأسه خُطة) أمرٌ قد عزم عليه، وجمعها خُطَط[3].

ويستعمل التخطيط بما يقارب معنى التنظيم، يقال: نَظَمَ الأشياء: أَلَّفها وضم بعضها إلى بعض، ويقال: نَظَمَ أمره: أقامه ورتبه[4].

إذاً فنحن نقصد بالتخطيط في التعامل مع المخالفين: وضع الخطط والنُظم لهذا التعامل، ويقابله الفوضى والارتجالية.

وللتخطيط أهمية بالغة في تعامل أهل الحسبة مع المخالفين لهم، لأن بعض هؤلاء المخالفين من أصحاب الأفكار الهدامة، والدعوات المُضللة، يملك من الشبهات والحجج التي يستطيع من خلالها أن ينشر فكره وضلالاته إذا ما حانت له فرصة ومناسبة، فبدون التخطيط والنظر والتدقيق، قد لا يدرك المحتسب هذا، فيمنح الفرصة للمخالفين، فيفسد من حيث لا يعلم، كما أن من فوائد التخطيط: أن المحتسب ينظر في واقعه وواقع مخالفه، فيوازن بين

---

[1] سورة النساء، آية رقم ٦٣.

[2] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود محمد بن العمادي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، ١٠٧/٢، مكتبة الرياض الحديثة ـــ الرياض ـــ، ط٢، ١٤٠٢هـــ.

[3] المعجم الوسيط، مادة خطط، ٢٤٣/١، (مرجع سابق).

[4] المعجم الوسيط، مادة نظم، ٩٤١/٢، (مرجع سابق).

الواجبات والإمكانات، والمصالح والمفاسد، كما أنه قد يعرف المحتسب شبهات المخالف وأفكاره وحالته العلمية والاجتماعية، وغير ذلك مما يساعده على استيضاح السبيل الأنجع للتعامل معه.

وقد وضح التخطيط في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد سار على خطة محكمة، سواء في العهد المكي أو العهد المدني، فقد وضع لكل عهد خطته المناسبة له، مراعياً وموازناً بين الإمكانات والواجبات، ناظراً في ذلك إلى المصالح القريبة والبعيدة.

وقد نَفَّذَ صلى الله عليه وسلم كل خطة خطوة خطوة، بعيداً عن الاستعجال، حتى مكنه الله من الوصول إلى أهدافه، وأظهره على مخالفيه، وأفشل خططهم وأبطل مكرهم، كتخطيطه صلى الله عليه وسلم للهجرة إلى المدينة بعد أن صده كفار قريش عن الناس وضيَّقوا عليه، فَكَوَّن قاعدة قوية استطاع من خلالها الوصول إلى أهدافه[1].

لذا يجب على أهل الحسبة أن لا يُغفلوا وسيلة التخطيط في التعامل مع مخالفيهم، لأن كثيراً من المخالفين يخططون ويكيدون لهم ولهذه الشعيرة العظيمة؛ فلأجل أن لا تضطرب الموازين، وتتعثر الخطى، ويتمكن منهم أعداؤهم، فلا بد للمحتسبين من الاهتمام بهذه الوسيلة؛ كما أننا نجد أنه من الأهمية التنبيه على بعض ضوابط التخطيط في التعامل مع المخالفين، وهي:

أ. أن يكون التخطيط من أهله، وأهله هم: أهل الاختصاص والكفاءات العلمية والعملية؛ لأن أكثر المخالفين يملكون شبهاً وحججاً تحتاج إلى من يملك التأهيل العلمي والنفسي للتعامل معها.

ب. أن يكون متعقلاً، فلا يُبنى على ردود الأفعال والعواطف[2].

---

[1] انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي بن محمد الصلابي، ١/٤، (مرجع سابق).

[2] انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص٣٠٨، (مرجع سابق)

ج. أن يكون متوازناً، ويحقق انسجاماً بين الواجبات والإمكانات، فلا انسياق مع الواجبات مع الغفلة عن الإمكانات، ولا قوفاً عند الإمكانات المحدودة وجموداً عليها[1].

د. أن يكون منضبطاً بالأحكام الشرعية، ولا يخالف حكماً شرعياً، فلا يُتَجسس على من لا يجوز التجسس عليه، ولا يُشَهَّر بمن لا يجوز أن يُشهَّرَ به...الخ.

هـــ. أن يكون ممكن التطبيق.

إلى غير ذلك من ضوابط يلحظها المحتسبون، ويؤكد عليها الواقع.

٣. الحوار:

ترد كلمة حَوَرَ ومشتقاها في اللغة بمعانٍ عدة، فقد جاء أن الحَوْر هو: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، يقال: حار إلى الشيء وعنه حَوْراً ومَحاراً: رجع عنه وإليه، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾[2] أي: ((لم يظن أنه راجع إلى ربه))[3].

والمحاورة: المجاوبة. والتحاور: التجاوب، تقول: كلمته فما أحار إلي جواباً، أي: ما رد جواباً. واستحاره أي: استنطقه. وهم يتحاورن أي: يتراجعون الكلام[4].

ويراد بالحوار في الاصطلاح: ((مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين لمعالجة قضية من قضايا الفكر والعلم والمعرفة، بأسلوب متكافئ يغلب عليه طابع الهدوء والبعد عن الخصومة))[5].

ومن خلال بيان مفهوم الحوار ومعناه، ظهرت الحاجة إليه وضرورة استعماله، وأنه من أهم الوسائل في التعامل مع المخالفين؛ فهو الوسيلة الطبيعية والمشروعة لإحقاق الحق

---

[1] انظر: خصائص مدرسة النبوة، د. كمال محمد عيسى، ص٤٢، دار الشروق ـــ جدة ـــ، ط١، ١٤٠٣هـــ.

[2] سورة الانشقاق، آية رقم ١٤.

[3] انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، ص٨٧٧، (مرجع سابق).

[4] انظر: لسان العرب، لابن منظور، فصل الحاء المهملة، مادة حور، ج٤، ص٢١٧، (مرجع سابق).

[5] انظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، د. يحيى بن محمد زمزمي، ص٢٢، دار التربية والتراث ـــ مكة المكرمة ـــ، ط١، ١٤١٤هـــ.

وإبطال الباطل، ولا يكون محظوراً إلا إذا كان لإبطال الحق أو لمجرد المراء[1]؛ وبالحوار يتم إيقاظ العقول والقلوب، وتحريك العواطف والمشاعر، خاصةً لمن يبحث عن الحق، كما أنه يساعد على معرفة المستوى الفكري والسلوكي للمخالف، ومعرفة حقيقة المخالفة، وعلى ماذا يستند المخالف من شبهات فكرية وسلوكية، فإذا ما تبين هذا كله، اتضحت الطريقة الأنجح لمعالجة المشكلة.

ولذلك يمكن أن يقال: إنه بمقدار ما يكون المحتسب متمكناً من فن الحوار، محيطاً بآدابه وأساليبه، يكون أقدر على النجاح في التعامل مع المخالفين بأصنافهم، ولذلك من الأهمية أن يعنى المحتسب بهذا الفن، ويحاكم طريقته في النقاش، ويحسن أداءه، ويصلح أخطاءه، ليتحقق له بذلك الهدف والغاية من كلامه وحواره؛ ويمكن معرفة أهمية الحوار مع المخالفين لأهل الحسبة من خلال النقاط التالية:

أ. أن الحوار مع المخالف أمر لم يستغن عنه سادة المحتسبين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم من المصلحين، بل أمر الله عز وجل أنبياءه بذلك، كما قال تعالى آمراً نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2] وقوله تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ

[1] انظر: فقه التعامل مع المخالف، عبدالله الطريقي، ص٨٧، (مرجع سابق).

[2] سورة آل عمران، الآيات من ٦٤ ـــ ٦٥.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[1] وقوله عز من قائل ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2] وقوله عز وجل ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[3].

وقد أخبرنا الله عز وجل عن استخدام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهذه الوسيلة في تعاملهم مع مخالفيهم، كما قال تعالى عن لوطٍ عليه السلام ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾[4]، ويقول تعالى عن شعيب عليه السلام ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ

[1] سورة آل عمران، الآيتان ٩٨ ــ ٩٩.

[2] سورة المائدة، الآيتان ٥٩ ــ ٦٠.

[3] سورة المائدة، الآية رقم ٧٧.

[4] سورة هود، الآيات ٧٧ ــ ٨٠.

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[١].

ب. أن أقوال علماء الأمة في أهمية المناظرة، وضرورة استخدامها، له صلة كبيرة بموضوع الحوار، إذ إن المناظرة قريبة من الحوار، وتشترك معه في الغاية منها وهو الوصول إلى الحق، وإظهار الصواب[٢]؛ ولذا فلا بأس بإيراد مثال واحد لشيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول عنها: ((فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفَّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنية النفس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين))[٣].

فالحوار المفيد الهادئ، البعيد عن الخصومة والتعصب يدخل من باب أولى في هذا ولا شك[٤]، خاصة وأن الحوار يحقق الهدف والغاية التي من أجلها مدح العلماء الجدل والمناظرة، ألا وهو التوصل إلى الحق، وإظهار الصواب ودر الشبه وإبطالها.

---

[١] سورة هود، الآيات ٨٤ ـــ ٨٨.

[٢] الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد زمزمي، ص٣٥، (مرجع سابق).

[٣] الفتاوى، لابن تيمية، ٢٠/١٦٤ ـــ ١٦٥، (مرجع سابق).

[٤] الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد زمزمي، ص٣٧، (مرجع سابق).

ج. الأثر الإيجابي الذي ينتج عن الحوار، فكم من مبتدع ضال رجع عن بدعته بسبب الحوار، وكم من عاصٍ رجع عن معصيته وتاب إلى ربه؛ ومن ذلك حوار ابن عباس رضي الله عنهما مع الخوارج الذي كان سبباً في رجوع ألفين منهم؛ ومن ذلك الحوارات المصيرية الحاسمة الكثيرة التي كانت سبباً في كبت الفتن، وتوحيد الكلمة، وإنهاء النزاع والخلاف، كالحوار الذي كان بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة، والذي انتهى بمبايعة أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة؛ وكمناظرة الإمام أحمد رحمه الله للمخالفين في فتنة خلق القرآن.

وعلى كل حال، فإن أثر هذه الحوارات أكثر من أن يُحصر؛ ولعلنا فيما يلي نبين الضوابط المرعية لاستخدام هذه الوسيلة في التعامل مع المخالفين، حتى تتحقق الغاية منها، وهي:

أ. العلم مع القدرة.

لا بد للمحاور أن يكون عالماً بالمسألة التي يريد أن يحاور فيها، قادراً على النظر والموازنة والترجيح بين الأدلة المختلفة، إذ لا يجوز أن يدخل ساحة الحوار قبل أن يستكمل أدواته العلمية والعقلية[1]؛ وقد ذم الله عز وجل الذين يجادلون في الله بغير علم، فقال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾[2]، وقال تعالى محذراً من التكلم بغير علم ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[3].

---

[1] انظر: الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، ص٤٣، دار الوطن ـــ الرياض ـــ، ط١، ١٤١٣هـــ.

[2] سورة الحج، آية رقم ٨٠.

[3] سورة الإسراء، آية رقم ٣٨.

قال القرطبي رحمه الله: ((في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له))[1].

ومن ثم فإنه لا يصلح أي أحد للحوار وإن كان صاحب حق، فإنه ربما حاور بهدف نصرة الحق فيخذل الحق، لضعف علمه وبصيرته، وربما حاور بجهل فيقتنع بالباطل الذي مع المخالف، وربما احتج بحجج باطلة فلا يقتنع المخالف بالحق الذي معه[2]؛ بل إن في ذلك مدعاة لتمسك المخالف بباطله.

والعلم المطلوب توفره في المحاور يقتضي أمرين متلازمين:

* العلم بشرع الله المطهر كتاباً وسنة، ويقتضي ذلك العلم بمنهج السلف قولاً واعتقاداً وعملاً.

* العلم بالواقع الذي يراد تطبيق شرع الله عليه[3]، ويستلزم ذلك المعرفة بتفاصيل المخالفة المتحاور فيها.

ب. القدرة على الحوار.

لا يلزم بالضرورة أن كل من تعلم علماً يكون قادراً على إظهاره وبيانه، يقول ابن عبدالبر رحمه الله: ((قال بعض العلماء: كل مجادل عالم وليس كل عالم مجادلاً، يعني أنه ليس كل عالم يتأتى له الحجة ويحضره الجواب يسرع إليه الفهم بمقطع الحجة، ومن كانت هذه خصاله فهو أرفع العلماء وأنفعهم مجالسة ومذاكرة والله يؤتي فضله من يشاء والله ذو فضل عظيم))[4]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((ليس كل من عرف الحق أمكنه أن يحتج على من ينازعه بحجة تهديه أو تقطعه، وليس كل ما عرفه الإنسان أمكنه تعريف

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٤/٧٠، (مرجع سابق).

[2] انظر: ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، د. مفرح القوسي، ص٢٣، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني ــ الرياض ــ، ١٤٣٠هــ.

[3] انظر: الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، ص٤٥، (مرجع سابق).

[4] جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبدالبر النمري، ص٤٣٣، دار زمزم ــ الرياض ــ، ط١، ت: ب.

غيره به، فلهذا كان النظر أوسع من المناظرة، فكل ما يمكن المناظرة به يمكن النظر فيه، وليس كل ما يمكن النظر فيه يمكن مناظرة كل أحد به))[1].

وهذا يتطلب قدرة فائقة على ضبط المعلومات وفهمها فهماً صحيحاً، ثم ترتيبها حسب الأولى، ثم نقلها إلى الناس بدقة واتزان[2]؛ وهذا مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم ((**نضَّرَ الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها كما سمعها، فرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من أفقه منه**))[3].

ولا شك أن الناس يتفاوتون في منطقهم وقوتهم في الاحتجاج، ويؤكد ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم فيما روته أم سلمة رضي الله عنها أنه قال ((**إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً، فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار**))[4].

ولذلك فإن الحجة البالغة تستطيع أن تثبت برهان صدق صاحبها، وتنتزع له الحق.

ج. تقدير المصلحة والمفسدة:

لا يخلو الحوار من جوانب مذمومة تجعل من الضرورة بيان مدى تحقق المصلحة من إقامته وإنشائه، ولا شك أن المصلحة لها اعتبارات في التشريع الإسلامي، وتقديرها يرجع إلى كل ظرف وحاله على حدة؛ فقد تكون المصلحة في عدم محاورة صاحب البدعة بل هجره

---

[1] انظر: درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق: عبداللطيف بن عبدالرحمن، ١٧١/٧، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ، ط: ب، ١٤١٧هـ .

[2] انظر: في البناء الدعوي، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، ص١١٤، المنتدى الإسلامي، لندن، ط١، ١٤٢٢هـ.

[3] رواه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب الحث على تبليغ السماع، حديث رقم ٢٦٥٨، ٣٤/٥. ورواه ابن ماجه، في سننه، كتاب الإيمان، باب من بلغ علماً، حديث رقم ٢٣٠، ٨٤/١. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١٤٦/٣.

[4] رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، حديث رقم ٢٥٣٤، ٩٥٢/٢. ورواه مسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، حديث رقم ٤٥٧٠، ١٢٨/٥.

وتعزيره كما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع صبيغ بن عسل التميمي[1]، وقد تكون المصلحة في قطع حجته، وبيان فساده حتى لا يتبعه الناس، والمعول عليهم في ذلك هم علماء المسلمين المؤتمنون على دين الإسلام وميراث النبوة[2].

د. الاتفاق على أصول مرجعية للحوار:

إذا أردنا أن يكون الحوار منهجياً مثمراً فلا بد أن تكون هناك أصول مرجعية معتمدة متفق عليها، يرجع إليها لمعرفة الحق من الباطل، فإذا كانت أطراف الحوار تنتمي إلى الإسلام فينبغي اتخاذ النص الشرعي أصلاً مرجعياً معتمداً للحوار بين هذه الأطراف، وذلك استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[3]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فإن تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، فأي القولين دل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه))[4].

أما إذا كان أحد طرفي الحوار من غير المسلمين، فينبغي الاتفاق على مرجعية معتمدة ومعترف بها من قبل الطرفين، كالقيم والمثل الإنسانية العليا، والأسس الحضارية المشتركة، وقواعد العقل البشري السليم، والثوابت والمسلمات[5]، ونحو ذلك من المرجعيات الكبرى المعتمدة لديهم، والتي يعرف بها الحق من الباطل والراجح من المرجوح والفاضل من المفضول.

---

[1] للاستزادة انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ١٧٢/٧، (مرجع سابق).

[2] انظر: أسلوب المناظرة في دعوة النصارى، د. إبراهيم الحميدان، ٨٩/١، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٤هـ.

[3] سورة الشورى، آية رقم ١٠.

[4] مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٢/٢٠، (مرجع سابق).

[5] انظر: ضوابط منهج الحوار في الفكر الإسلامي، د. مفرع القوسي، ص٣١، (مرجع سابق).

٤ . تأهيل المحتسبين وتدريبهم:

وهذا في غاية الأهمية، سيما مع المخالفين؛ لأن بعض المخالفين يملك من المكر والكيد ما يستطيع من خلاله أن يزج خصمه في الخطأ رغماً عنه، ومن ثم تأليب الناس عليه؛ فهؤلاء يحتاجون إلى من يعرف مكائدهم، حتى لا يقع في شراكهم.

إن القدرة على التعامل مع المخالف فن كغيره من الفنون، لذا يجب إكساب المحتسبين هذا الفن، وتأهيلهم تأهيلاً يستطيعون معه بعد توفيق الله تعالى التصدي لأهل الخلاف من أهل الأهواء وغيرهم؛ وهذا يلزمه المعرفة بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسيرة السلف الصالح، وإطلاعهم على تجاربهم وكيفية تعاملهم مع أصناف المخالفين؛ وتدريبهم على ذلك وامتحانهم؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم لما أرسل معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن لم يزج به قبل تأهيله وتعليمه كيفية دعوتهم، فقال صلى الله عليه وسلم ((**إنك تأتي قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا هم عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم...**))[١]، يقول ابن حجر رحمه الله: ((**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب**)) هي كالتوطئة للوصية، لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان[٢].

فهنا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم هيأ معاذاً رضي الله عنه و عَرَّفه بنوع الثقافة المنتشرة في البيئة المقصودة، فمخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل؛ وفي هذا إشارة إلى ضرورة اختيار من نثق به لأجل هذه المهمة الجليلة، وتعليمه وتأهيله بما يضمن أداءه لعمله على الوجه الشرعي.

---

[١] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس، حديث رقم ١٣٨٩، ٥٢٩/٢. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم ١٣٢، ٣٨/١.

[٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ٣٥٨/٣. (مرجع سابق).

٥. مخاطبة المخالف باللغة التي يفهمها.

فقد يكون المخالف يتحدث بلغة غير اللغة التي يتحدث بها المحتسب، فلا يمكن فهمه وإفهامه، إلا بمخاطبته بلغة يفهمها، حتى يتم التواصل معه على الوجه المطلوب؛ ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم لغة اليهود ليكاتبهم بها، كما يقرأ عليه كتبهم إذا وردت إليه، ويوضح للنبي صلى الله عليه وسلم مرادهم.

فعن خارجة بن زيد بن ثابت قال: قال زيد بن ثابت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمت له كتاب يهود، وقال: ((**إني والله ما آمن يهود على كتابي**))، فتعلمته، فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كُتِب إليه[1].

وكذلك قد يكون المخالف يتحدث بنفس لغة المحتسب، لكنه عاميٌّ، لا يدرك كثيراً من معاني الألفاظ ومدلولاتها؛ فيجب هنا أن تُبسط العبارة، ويبتعد عن المصطلحات الغريبة التي قد لا تفهم؛ حتى يؤتي هذا التعامل ثماره؛ فيوصل ما يريد بعبارة ميسرة مفهومة؛ لا أن ينتهي بدون ثمرة، أو قد يلبس عليه المعنى الذي أراده الشارع، فيحصل بذلك خطأ كبير.

ومما يزيد في أهمية مخاطبة المخالفين باللغة التي يفهمونها، أن كثيراً من المخالفين له شبهة قد حالت بينه وبين فهم الحق والانقياد له، وهذا يحتاج إلى وقت ليفهم المراد، ومناقشة ومحاورة، وعرض الأدلة الدالة على الحق وشرحها شرحاً وافياً جلياً؛ ولا يتأتى ذلك بدون مخاطبته باللغة التي يحسنها، حتى يفهم المراد، وتزاح عنه الشبهة.

[1] رواه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب، حديث رقم ٣٦٤٧، ٣/٣٥٦، وقال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود، برقم ٣٦٤٥، .

٦. التمثيل العملي:

التمثيل العملي يوصل المفاهيم والأفكار إلى العقول ويقربها إليها؛ والناس يتفاعلون مع المظاهر الحسية أكثر من المفاهيم النظرية؛ إضافة إلى ذلك، فهو يجعل المخالف يتفكر ويخاطب عقله أمام ما يرى من حقائق واقعية مشاهدة.

ومن الأمثلة على ذلك قصة إبراهيم عليه السلام مع المخالفين من قومه، فحينما كسَّر الأصنام وضع المعول في رقبة صنم كبير، فلما جاؤوا ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[١].

فشكل هذا التمثيل صدمة لهم، حيث رجعوا إلى عقولهم وأراهم حقيقة ادعائهم، فلم يملكوا أن يتنصلوا أمام هذه الحقيقة الواقعة المشاهدة، وقالوا: لقد ظلمناه وما نراه إلا كما قال[١]؛ وبهذه العملية استطاع إبراهيم عليه السلام أن يشككهم في معتقداتهم، حينما أيقنوا أن الأصنام لا تنطق ولا تضر ولا تنفع.

فعلى المحتسب أن يستخدم ما يستطيع من الوسائل العملية التي تبين المراد، بأقل جهد، وأبلغ تأثير، حيث أن كثيراً من النقاشات والمجادلات تأخذ وقتاً وجهداً كبيرين، بله أن أكثرها لاتؤتي ثمارها؛ لكن الحجة إذا كانت مشاهدة تُرى بالعقل والعين، فإنه لا يستطيع إنكارها جاحد.

---

[١] جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج١٨، ص٤٦٢، (مرجع سابق).

٧. إقامة الدعاوى القضائية ضد المخالفين (دعوى الحسبة):

وهي وسيلة مهمة غفل عنها المحتسبون؛ وهي من أسباب دحر أهل الخلاف والشقاق وتراجع باطلهم، خاصةً في المخالفات الكبيرة، كالتعدي على دين الإسلام ورموزه.

أما الصفة التي يتقدم بها المحتسب في دعواه، فهي إما أن يكون معتدى عليه بشخصه بشكل مباشر أو غير مباشر أو أن تكون دعواه احتسابية ضد المؤسسات الحكومية أو الأهلية أو الأشخاص؛ وتعتبر المحاكم العامة في المملكة العربية السعودية هي الجهة المخولة رسمياً بتولي قضايا الحسبة، حيث ينص (نظام القضاء) الجديد الصادر بالمرسوم الملكي ذي الرقم م/٧٨ وتاريخ ١٤٢٨/٩/١٩هـ على أن المحاكم العامة لها الولاية العامة في جميع القضايا، كما ينص النظام (الفصل الخامس: ولاية المحاكم. المادة الخامسة والعشرون: دون إخلال بما يقضي به نظام ديوان المظالم، تختص المحاكم بالفصل في جميع القضايا)[١].

فمن المهم نشر ثقافة المقاضاة الشرعية لأهل الفساد والإفساد في الأمة؛ وهذا له فوائد كبيرة، من أهمها: المحافظة على حقوق الله تعالى، وذلك من خلال المطالبة بإيقاع العقوبات على منتهكيها، وجلب المصالح ودرء المفاسد، إضافة إلى أنها تحمي المجتمع من انتشار الرذيلة، فالمعاقبة تؤدي إلى حماية المجتمع، وتحقيق الأمن والاستقرار له، وفيها إصلاح المخالفين، وتطهيرهم من أثر الذنب الذي اقترفوه.

فعلى أهل الحسبة تفعيل هذه الوسيلة التي من شأنها ردع المخالفين والتصدي لهم بالقوة والسلطان، فينقمع أهل الشهوات والشبهات، وتُرْهِبُ أمثالهم ممن يريد الفساد والإفساد، فبعض المخالفين لا تردعه زواجر القرآن، ولا الحجة والبيان؛ ولكن كما قال عثمان بن

---

[١] هذا النظام ناسخ لما سبقه الصادر مطلع العام ١٤٢٧هـ والذي كان ينص على أن دعاوى الحسبة ترفع لهيئة التحقيق والادعاء العام.

عفان رضي الله عنه: ((إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن))[1]؛ وذلك لضعف إيمانهم، وقلة خوفهم من الله تعالى.

٨. التجديد في وسائل الاحتساب على المخالفين:

فإن وسائل الاحتساب المعروفة كالكتابات والزيارات والمناصحات الفردية وغيرها، هي وسائل ضرورية ولا شك، ولكن المخالفين ومخالفاتهم تزداد وتتطور وتنتشر بين الناس انتشار النار في الهشيم، عن طريق الوسائل الحديثة التي تجد؛ لذا ينبغي استغلال هذه الوسائل وتدريب المحتسبين على كيفية استخدامها والتعامل معها؛ لبيان الحق، ونشر الردود على المخالفين، وكشف شبهاتهم وتعريتها؛ وهذا ثماره واضحة جلية، من إقامة الحجة على المخالفين بالرد عليهم، وتحذير الناس من شبههم وضلالاتهم، ومن الانسياق وراء أهل الزيغ والضلال؛ وهذه الوسائل كثيرة لا حصر لها: كالإنترنت، ووسائل الاتصال، وبرامج التواصل الحديثة، وطرق العرض التي يسهل الشرح من خلالها، وغير ذلك مما يجد من وسائل؛ وينبغي التنبه إلى أن المخالفين يسارعون لاستغلالها لنشر شبهاتهم وأفكارهم الهدامة، وربما أحدثُوا وسائل لذلك.

لذا كان لزاماً على أهل الحسبة أن يجددوا في وسائلهم الاحتسابية، ويطوروا أنفسهم، ويطلعوا على تقنيات العصر التي تخدم مهمتهم العظيمة.

---

[1] مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١١/٤١٦. (مرجع سابق).

المبحث الثالث

أساليب التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الأساليب لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أساليب التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

المطلب الأول: تعريف الأساليب لغةً واصطلاحاً:

١. تعريف الأساليب لغةً:

جاء في المعجم الوسيط أن الأسلوب بمعنى: ((الطريق وجمع أسلوب أساليب، ويقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه، وأسلوب الكاتب، طريقته في كتابته))[١].

ويقال: ((أخذ فلان في أساليب القول أي أفانين منه))[٢].

ومن خلال التعريفات اللغوية للأسلوب يظهر بالتأمل أن الأسلوب بمعنى الطريق، والمذهب، والفن.

٢. تعريف الأساليب في الاصطلاح:

تنوعت وتعددت التعريفات الاصطلاحية للأساليب ومن أبرز ما وقفت عليه، أنها:

أ. ((الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه))[٣].

ب. وعُرِّفت الأساليب بأنها: ((عرض ما يراد عرضه من معانٍ، وأفكار، ومبادئ، وأحكام في عبارات، وصيغ ذات شروط معينة))[٤].

ج. وعُرِّفت: ((بالكيفيات التي يتم بها أداء الدعوة وتبليغها من الأمور المعنوية الفنية وأنواع المسالك التأثيرية وهي في الغالب غير حسية))[٥].

وبعد عرض هذه التعريفات فإنه يمكن القول بأن المقصود بأساليب التعامل مع المخالفين هي: الطرق التي يسلكها المحتسب في تعامله مع المخالفين؛ أو كيفية تطبيق المنهج.

---

[١] انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ١/٤٤٣، مادة سلب، (مرجع سابق).

[٢] لسان العرب، لابن منظور، ١/٤٧٣، مادة: سلب، (مرجع سابق).

[٣] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد بن عبدالعظيم الزرقاني، ٢/١٩٩، مطبعة عيسى البابي، ط٣، ت: ب.

[٤] انظر: الدعوة إلى الله خصائصها ومقوماتها ومنهاجها، د. أبو المجد نوفل، ص١٨٩، مكتبة وهبة ـــ القاهرة ـــ، ط١، ١٣٩٧هـــ،

[٥] منهج ابن تيمية في الدعوة، عبدالله الحوشاني، ٢/٥٤٣، دار أشبيليا ـــ الرياض ـــ، ط١، ١٤١٧هـــ.

المطلب الثاني/ أساليب التعامل مع المخالفين:

إن أساليب وطرق التعامل مع المخالفين متعددة متنوعة، وتختلف بتنوع مخالفاتهم وأصنافهم، وبحسب سلطة المحتسب وقدرته، وبحسب الحال والمآل؛ وهذا يتطلب أن يكون المحتسب في تعامله مع المخالفين ممن يُحسن الاجتهاد في اختيار الأسلوب الأنجع والأمثل، الموافق لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ وفيما يلي عرض لأبرز هذه الأساليب:

١. الرفق واللين.

الرفق في اللغة: ضد العنف[١].

وفي الاصطلاح: لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف[٢].

الرفق من الأمور التي يجب على أهل الحسبة أن يستخدموها بدءاً في تعاملهم مع مخالفيهم، لما له من الأثر العظيم في استمالة القلوب، وفي حصول المقصود.

وينبغي التنبه على أن استعمال الرفق واللين ما لم يكن ثم مكابرة أو معاندة، فحينئذٍ على المحتسب أن يعد للأمر عدته، ويتخذ الإجراء الذي يكفل إعادة الأمور إلى مجاريها[٣].

ولقد جاء التأكيد على الرفق في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وكان أول ما يتعامل به سادة المحتسبين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حينما كانوا ينكرون على مخالفيهم سوء صنيعهم، فقد جاء التوجيه الرباني الكريم لنبي الله موسى عليه السلام حينما أراد أن ينكر على فرعون ضلالاته وطغيانه وتكبره وتجبره، بأن يتحلى هو وأخوه هارون

---

[١] مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، ص٢٥٦، مكتبة لبنان ــ بيروت ــ، ط١، ١٤١٥هـ.

[٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ١٠/٤٤٩، (مرجع سابق).

[٣] نظام الحسبة في الإسلام، عبدالعزيز بن محمد بن مرشد، ص٧٨ــ٧٩، (مرجع سابق).

عليهما السلام بلين القول، فقال ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[1].

واستخدم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب في تعامله مع مخالفيه لأجل عملية التغيير والبناء، سواءً كان هؤلاء المخالفون من اليهود أم من المشركين أم من المسلمين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((**ما عندك يا ثمامة**)) فقال: عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، حتى كان الغد ثم قال له صلى الله عليه وسلم ((**ما عندك يا ثمامة**)) قال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد، فقال صلى الله عليه وسلم ((**ما عندك يا ثمامة**)) فقال: عندي ما قلت لك، فقال ((**أطلقوا ثمامة**))، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم[2].

---

[1] سورة طه، الآيتان ٤٣ ـــ ٤٤.

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، حديث رقم ٤١١٤، ١٥٩٨/٤.

فينبغي لأهل الحسبة أن يستخدموا الرفق في التعامل مع مخالفيهم بدءاً، فقد يكون المخالف بعيداً عن الحق، وكارهاً لأهل الحسبة، فالرفق معه قد يغير ما في قلبه، ويهيئه لسماع الحق وقبوله، وهذا مراد المحتسب؛ أما القسوة والشدة والعنف فإنها تزيد المخالف عناداً ومكابرةً، بل وإيماناً بمخالفته وإصراراً عليها، وحتى لو قوبل احتساب المحتسب صاحب الصلاحية بالقبول ظاهراً لما قد يملكه المحتسب من صلاحيات ونفوذ، إلا أن هذا القبول لا يستمر، فالرفق بالمخالف يدنيه، والشدة والغلظة تقصيه، يقول الله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1].

وإذا كان هذا الأسلوب ذا نجاعة في التعامل مع المخالف العالم بمخالفته، فكيف بالمخالف الجاهل لسوء صنيعه؟ فإنه لا شك أولى بالرفق واللين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ((**دعوه وأهريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوباً من ماءٍ فإنما بعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسرين**))[2].

وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: ((بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم؟ تنظرون إلي: فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت، فلما صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني،

---

[1] سورة آل عمران، آية رقم ١٥٩.

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، حديث رقم ٢١٧، ٨٩/١. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، حديث رقم ٦٨٥، ١٦٣/١.

قال: ((**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**))[1].

ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الرفق بالناس، خصوصاً فيمن يتولى أمراً من أمور المسلمين، كما في الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فَشَقَّ عليهم فاشْقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**))[2] والمحتسب داخل في هذا الحديث ولا شك، لأنه أحد الولاة لقيامه بولاية الحسبة، فينبغي أن يتعامل مع مخالفيه بالرفق واللين ابتداءً، غير مبادر للعقوبة، ولا يؤاخذ أحداً بأول ذنب يصدر منه، ولا يعاقب بأول زلةٍ تبدو، لأن العصمة في الخلق مفقودة فيما سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[3].

وليكن الرفق شعاراً للمحتسب حال تعامله مع مخالفيه رجاء أن تكون ولايته ملتزمة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ((**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**))[4].

ولا يعني هذا كله أن يكون المحتسب متساهلاً ضعيفاً، أو مداهناً للمخالفين بشيء من أحكام الدين، فيجب هنا أن ننبه إلى هاتين المسألتين بشيء من التفصيل:

---

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، حديث رقم ١٢٢٧، ٧٠/٢.

[2] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم ٤٨٢٦، ٧/٦.

[3] انظر: نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، عبدالرحمن بن نصر الشيزري، تحقيق: السيد الباز العريني، ص٩، دار الثقافة ــ بيروت ــ، ط:ب، ١٤٠١هـ.

[4] رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، حديث رقم ٦٧٦٧، ٢٢/٨.

المسألة الأولى: وهي أن الرفق بالمخالفين لا يعني التساهل والضعف البتة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وهو إمام المحتسبين وقدوتهم مع أنه كان حليماً رفيقاً في تعامله مع المخالفين، ــ وقد ذكرنا نماذج لذلك ــ إلا إنه صلى الله عليه وسلم يغضب أشد الغضب عندما تنتهك حرمات الله تعالى، فكان غضبه عليه الصلاة والسلام لله فقط، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ((ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله، فينتقم لله))[1].

يقول الرازي رحمه الله: ((اللين والرفق إنما يجوز إذا لم يفض إلى إهمال حق من حقوق الله، فأما إذا أدى إلى ذلك لم يجز))[2].

وهناك أحوال يعدل فيها المحتسب حال تعامله مع مخالفيه من الرفق واللين إلى الشدة والحزم، ومن ذلك:

أ. إذا كانت المخالفة في أمور العقيدة التي لا يجوز التهاون فيها، كمن يتعدى على الذات الإلهية، أو يتعرض للنبي صلى الله عليه وسلم بسوء.

ب. إذا كان صاحب المخالفة ممن لا يتصور منه الوقوع فيها.

ج. إذا نبه المخالف إلى خطأه و لم يستمع للنصح.

د. إذا أظهر المخالف عناداً أو استخفافاً بدين الله أو بشرائعه وأحكامه، ونحو هذه الأمور[3].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، حديث رقم ٦٤٠٤، ٢٤٩١/٦. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح أسهله، حديث رقم ٦١٩٠، ٨٠/٧.

[2] مفاتح الغيب، فخر الدين الرازي، ٦٤/٩، دار الفكر ــ بيروت ــ، ط١، ١٤٠١هـ.

[3] من صفات الداعية الرفق واللين، د. فضل إلهي، ص٣٤، توزيع مؤسسة الجريسي ــ الرياض ــ، ط١، ١٤١١هـ.

فلذلك يجب على المحتسب في تعامله مع مخالفيه أن يوازن بين الرفق واللين، وبين الحزم والقوة، فيكون ليناً من غير ضعف، ويكون في الوقت ذاته قوياً وحازماً من غير عنف.

المسألة الثانية: قد يتوهم البعض أن المراد بالرفق المداهنة، فيضيع بذلك الاحتساب، ويظن بأن المداراة والمداهنة بمعنى واحد متفق، والجواب على هذا يتضح في أن هناك فرقاً ينبغي التنبه إليه بين المداراة والمداهنة وهو:

أن المداهنة هي: إظهار خلاف ما يضمر[1]، وهي الخداع والغش[2]، ومعاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه[3].

وبذلك يتضح أنها من الأمور المحرمة في الإسلام؛ لأن فيها تضييعاً لحدود الدين، وشرائعه، وعدم الصدع بالحق وإظهاره، ولذلك نجد أن الله جل وعلا حذر نبيه صلى الله عليه وسلم من أولئك المداهنين كما في قوله سبحانه وتعالى ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[4].

وأما المداراة فهي: خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وأيضاً هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، والإنكار عليهم بلطف القول والفعل، لا سيما إذا احتيج إلى تأليف قلبه[5].

إذاً فاستخدام هذا الأسلوب مع المخالفين أمرٌ محمود في الإسلام، لكونه يأتي بالاحتساب موافقاً للشرع، بعيداً عن العنف والقسوة والخشونة، ويحدث أثراً طيباً في النفوس.

---

[1] لسان العرب، لابن منظور، ١٦٢/١٣، مادة دهن، (مرجع سابق).

[2] المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس وآخرون، ٣٠٠/١، مادة دهنت، دار عمران ـــ مصر ـــ ط٣، ١٤٠٥هـــ.

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ٥٢٨/١٠، (مرجع سابق).

[4] سورة القلم، آية رقم ٩.

[5] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ٥٢٨/١٠، (مرجع سابق).

ولقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب مع مخالفيه، ومن ذلك مداراته لعتبة بن ربيعة فكان يحاوره ويناديه بكنيته ترفقاً به لتأليف قلبه فيقول له ((**قل يا أبا الوليد**)) ((**أوقد فرغت يا أبا الوليد**)) ((**قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك**)).[1]

وكذلك ما روي في قصة الرجل الذي استأذن للدخول، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ((**ائذنوا له فبئس ابن العشيرة ــ أو بئس أخو العشيرة**)) فلما دخل ألان له الكلام، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله قد قلت ما قلت، ثم ألنت له في القول، فقال صلى الله عليه وسلم ((**أي عائشة إن شر الناس منزلة عند الله من تركه ــ أو ودعه ــ الناس اتقاء فحشه**))[2].

فاتضح مما سبق الفرق بين المداهنة المحرمة والتي نهت الشريعة المطهرة عنها، وبين المداراة التي رغبت بها.

وبعد تجلية هاتين المسألتين نؤكد ما سبق أن أكدنا عليه وهو لزوم استخدام أهل الحسبة لأسلوب الرفق واللين، والبدء به في التعامل مع المخالفين لهم، وأن لا ينتقلوا عنه إلا عند الضرورة والمصلحة.

[1] انظر: تهذيب سيرة ابن هشام، عبدالسلام هارون، ص٦٢ ــ ٦٣، دار البحوث العلمية ــ بيروت ــ، ط١، ١٤٠٥هـ.

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس، حديث رقم ٥٧٨٠، ٢٢٧١/٥. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب مداراة من يتقى فحشه، حديث رقم ٦٧٦١، ٢١/٨.

٢. القدوة الحسنة.

ونقصد بالقدوة الحسنة: ما يتمتع به المحتسب من خلق كريم، وحسن معاملة؛ وأن يكون فعله موافقاً لقوله[1]؛ وهذا من أفضل الأساليب ــ خصوصاً في التعامل مع المخالفين ــ، لأنه من المعلوم أن لسان الحال أفضل وأبلغ من لسان المقال؛ وهي أول خطاب يجب أن يبدأ به المحتسب في توجيه مخالفيه، فهي كفيلة بعد مشيئة الله تعالى بأسر القلوب الشاردة في أودية الضلال، وأن يكون هذا الموجه والناصح محل الاحترام والتقدير والقبول؛ ولذلك أقبل الناس بمختلف أصنافهم ومشاربهم على النبي صلى الله عليه وسلم، مع محاولات كبار قريش اختلاق كل خلق مشين لإلصاقه به، لكنهم عجزوا و لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، فلم يصدقهم الناس وهم ينظرون إلى هذه الأخلاق العظيمة، فدليل الفعل أرشد من دليل القول.

والناس بطبيعتهم يتطلعون إلى المتصف بالصفات الحميدة، والمتحلي بالأخلاق الحسنة، وصاحب المسالك والأفعال الطيبة، ويميلون عادةً إلى من توافق أفعالُه أقوالَه، لأن ذلك يجعل لقوله قيمة، ويعطيه القوة التي بها يتحقق العمل، ويصل المحتسب إلى مقصوده من هذا التعامل[2].

أما إذا خالفت أفعالُه أقوالَه، فإنه تفقد الثقة به وبما يجيء به، فالمخالف ابتداءً ينظر إلى ما جاء به المحتسب على أنها مخالفة تحتاج إلى نظر وتدقيق، ويصعب قبولها بل النظر فيها إذا لم يكن المحتسب ملتزماً بما يقوله.

---

[1] انظر: نصاب الاحتساب، للسنامي، ص١٩٧، (مرجع سابق).

[2] انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبدالرحمن بن محمد المغذوي، ٧٢٨/٢ وما بعدها، (مرجع سابق).

ولقد ذم الله عز وجل أولئك الذين يأمرون الناس بالخير ولا يفعلونه، قال تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[1] وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له[2].

ثم إنه يجب على أهل الحسبة الحذر في هذا التعامل لأن كثيراً من المخالفين دائماً ما ينظرون إلى أفعال المحتسبين ويتصيُّدون أخطاءهم للنيل منهم ومن هذه الشعيرة العظيمة، والتشكيك فيهم وفيما يأتون به، وليس أقرب سبيلٍ وأقوى حجة من أن يكون هذا التشكيك سببه المحتسب نفسه، فينبغي أن يعلم أهل الحسبة أن حياتهم الخاصة والعامة موضع الملاحظة، وكثير من المخالفين يراقبونهم ويراقبون تصرفاتهم، علَّهم يزلون ويخطئون، فيحاربونهم بأخطائهم، ويحرجونهم بتصرفاتهم.

ومن أجل ذلك كان سادة المحتسبين من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قدوةً حسنةً، فشهد لهم مخالفوهم وخصومهم حتى وإن استمر بعضهم في مخالفته لهم.

---

[1] سورة البقرة، آية رقم ٤٤.

[2] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢٤٧/١، (مرجع سابق).

٣. التقريع والتعنيف والزجر بالقول الغليظ.

يسلك المحتسب هذا الأسلوب إذا استرسل المخالف في مخالفته، وظهرت بوادر الإصرار عليها، أوالاستهزاء بأمر المحتسب ونهيه، فإذا رأى أن أسلوب اللين لم يجد في التعامل مع المخالف، فله أن يزجره بعبارات لا تحمل فحش القول، فالمسلم ليس بسباب ولا لعان، وتغيير المنكر لا يكون بارتكاب منكر[١]، كأن يقول له: يا أحمق، ويا جاهل، ألا تخاف الله، فإنك تطيع عدوك الشيطان وسيوردك إلى ما لا تحمد عقباه، فاتق الله، ودع ما أنت فيه[٢]، أما تسمع قول الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٣].

وللتعامل مع المخالفين بهذا الأسلوب شرطان:

الأول: أن لا يقدم عليه المحتسب إلا عند الضرورة، وذلك عندما لا يجدي التغيير باللطف.

الثاني: أن لا ينطق إلا بالحق والصدق، ويقتصر على قدر الحاجة[٤].

ولقد استخدم هذا الأسلوب، الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مع المخالفين لهم حال الاحتساب عليهم، سواءً في الجانب العقدي أو الاجتماعي أوالأخلاقي، ومن ذلك استخدمه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام مع قومه من تعنيف وزجر، فيسوق ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا

---

[١] انظر: التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية، د. طامي بن هديف البقمي، ص٣١، توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ.

[٢] انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢/٣٣٠، (مرجع سابق).

[٣] سورة فاطر، آية رقم ٦.

[٤] انظر: الحسبة والدعوة مكانتهما في الإسلام وأثرهما في المجتمع، د. عوض بن رويشد السحيمي، ٣٧٩/١، دار السلام ـــ الرياض ـــ ط١، ١٤١٣هـ.

يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1]، فهذا إبراهيم الأواه الحليم المنيب عليه السلام، يذكر لقومه ذلك حينما بلغ معهم هذه المرحلة.

ويتجلى هذا الموقف ويزيد وضوحاً في حال نوح عليه السلام مع قومه، حينما عاندوه واستكبروا عليه قال لهم فيما ذكره القرآن الكريم ﴿ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾[2].

وعنَّفَ لوطٌ عليه السلام قومه وأغلظ عليهم في القول، كما جاء ذلك في القرآن الكريم ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾[3].

كما أغلظ موسى عليه السلام على فرعون حينما لم ينفع معه الرفق واللين، يقول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[4]. قال الشوكاني رحمه الله: ((الظن الأخير بمعنى: اليقين، والثبور بمعنى: الهلاك والخسران، وقيل: ناقص العقل، وقيل: الممنوع من الخير))[5].

فقد اختار هؤلاء الأنبياء عليهم السلام هذه العبارات، لما وجدوا الإصرار والعناد والاستخفاف والاستهزاء من هؤلاء المخالفين.

---

[1] سورة الأنبياء، الآيتان ٦٦ ــ ٦٧.

[2] سورة هود، آية رقم ٢٩.

[3] سورة الشعراء، الآيتان ١٦٥ ــ ١٦٦.

[4] سورة الإسراء، الآيتان ١٠١ ــ ١٠٢.

[5] فتح القدير، للشوكاني، ٣/٢٦٩، (مرجع سابق).

ثم إن هذه المواطن التي يستخدم المحتسب فيها التعنيف، والغلظة، والفظاظة، تخضع لقاعدة مراعاة المصالح والمفاسد.

قال د. فضل إلهي: ((ولا يظنن أحد، أنه إذا وجدت تلك الأحوال أو بعضها، شرع في استخدام الشدة والقسوة، من غير النظر إلى العواقب والنتائج، بل يجب مراعاة ما يتوقع حدوثه عند استخدام الشدة والقسوة، فإن تأكد لديه أن لجوءه إلى الشدة سيكون سبب حدوث منكر أعظم من المنكر الذي أراد إزالته، أو ترك معروف أهم منه، فليس له أن يلجأ إليها آنذاك))[1].

كما ينبغي لأهل الحسبة أن يراعوا آداب الزجر والتقريع، ومن ذلك:

أ. أن لا يبالغوا فيه، ولا يخرجوا به عن حدود المقاصد الشرعية التي شرع من أجلها، فمن المعلوم أن من مقاصد الزجر أن يحصل الارتداع والإنكفاف فحسب، أما إذا كان سيجر إلى غير ذلك فهو من الشطط، فالمحتسب حريص على استصلاح المخالف، لا على إيقاع العقوبة به وتقريعه وتعنيفه والتشفي منه.

ب. أن لا يخرج عن حدود أدب المسلم المستصبر المصلح، فلا يتورط في الشتائم، بل يعمل على سل السخائم، ولنا في سيد المحتسبين صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فها هو أنس رضي الله عنه يصفه لنا فيقول: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا لعاناً ولا سباباً كان يقول عند المعتبة ((**ما له ترب جبينه**))[2].

ج. أن لا يسلك الطرق غير المشروعة في التحري وتتبع العورات للإدانة وإيقاع الزجر والتقريع، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا**

[1] من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي، ص١٨٠، دار ابن حزم ــ الرياض ــ، ط١، ١٤٢١هـ.

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن، حديث رقم ٥٦٩٩، ٥/٢٢٤٧.

تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا))[1] فالآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم في حقيقة الأمر ناصحون مصلحون، والإصلاح لا يتأتى إلا بالطرق المشروعة[2].

د. أن لا يبالغ في زجر وتقريع المخالف حتى يبلغ به حد التيئيس من رحمة الله، فيتوهم أنه هلك ولا سبيل للعودة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا ((**إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكم**))[3] فربما تورط في القول على الله بغير علم، فيكون كمن نهى غيره عن الصغائر وأوقع نفسه في الكبائر.

٤. التضييق عليهم.

إن عدم الاهتمام بمخالفات المخالفين السلوكية والفكرية ومحاصرتها، من شأنه أن تنتشر هذه المخالفات وتسري في المجتمع كما تسري النار في الهشيم، فيتحول المجتمع إلى بؤرة للفساد ويحق عليه العذاب.

لذا فإن على أهل الحسبة ممن له قدرة واستطاعة وسلطان، أن يأخذوا على أيدي هؤلاء المخالفين، ويأطروهم على الحق أطرا، كما جاء في الحديث ((**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب**)) [4].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم، حديث رقم ٥٧١٩، ٢٢٥٣/٥. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، حديث رقم ٦٧٠١، ١٠/٨.

[2] انظر: أساليب دعوة العصاة، أ.د عبدالرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب، ص٨٩ ـــ ٩٠، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٢٤هـــ.

[3] رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن قول هلك الناس، حديث رقم ٦٨٥٠، ٣٦/٨.

[4] رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم ٢٩، ٧/١. وأبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، حديث رقم ٤٣٤٠، ٢١٤/٤. ، والترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، حديث رقم ٢١٦٨، ٤٦٧/٤. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣٦/٣.

ولأهل الحسبة صلاحيات واسعة في هذا الباب، منها:

أ. تذكير الفاسق بربه وتخويفه من مغبة ذنبه.

ب. تغيير المنكر باليد أو باللسان وفق الضوابط الشرعية، وفي الحديث ((**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**))[1].

ج. وعند عدم القدرة على تغيير المنكر يرفع أمره إلى الجهات المعنية، لأن هذا من باب التعاون على البر والتقوى ومن أساليب تغيير المنكر[2].

د. وإذا كان أهل الباطل لهم تجمعات وأحزاب، فعلى أهل الحسبة أن يعملوا على تفريق جمعهم، وإحداث الخلل في صفوفهم لئلا يُغرقوا السفينة[3].

فقد روى البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أن خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا؛ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا**))[4].

ونظراً لأن من أبرز صور التضييق على المخالفين يكون باليد، والناس يكونون فيه بين غالٍ ومتساهل، فلا بد من الإشارة إلى ضوابط الإنكار باليد، ولعلنا بدءاً نجيب على تساؤل يطرح كثيراً وهو: من المسؤول عن مهمة الإنكار باليد؟ وهو سؤال يمهد لما بعده.

---

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم ١٨٦، ١/٥٠.

[2] انظر: الآداب الشرعية، عبدالله بن محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ١/١٩٣، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ط: ب، ١٤١٩هـ.

[3] انظر: الحسبة في الإسلام، لابن تيمية، ص٧٩، توزيع رئاسة البحوث العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ.

[4] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، حديث رقم ٢٣٦١، ٢/٨٨٢.

والجواب: أن المسؤولية مشتركة بين عموم أفراد المجتمع[1].

كما في الحديث ((**ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته...**))[2] الحديث.

والمجتمع كالسفينة، فإذا لم يتضامن ركابها على المحافظة عليها، تعرضوا للخطر جميعاً، كما في الحديث الآنف الذكر ((**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة...**))[3] الحديث.

فمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليست مخصوصة بأفراد معينين كالعلماء مثلاً أو أهل الحسبة، بل المسؤولية عامة[4].

فمجموع أمة محمد صلى الله عليه وسلم تقوم مقامه في الدعوة إلى الله، وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره، فما قام به غيره سقط عنه الإثم، وما عجز عنه لم يطالب به، وأما ما لم يقم به غيره وهو قادر عليه، فعليه أن يقوم به، ولهذا يجب على هذا ما لا يجب على هذا، وقد تقسطت الدعوة على الأمة بحسب ذلك تارة، وبحسب غيره أخرى، وقد تبين بهذا أن الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم، لكنها فرض على الكفاية، وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه إذا لم يقم به غير، وهذا شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5].

---

[1] فقه التعامل مع المخالف، د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي، ص٧٧، (مرجع سابق).

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، حديث رقم ٦٧١٩، ٦/٢٦١١. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، حديث رقم ٤٨٢٨، ٦/٧.

[3] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، حديث رقم ٢٣٦١، ٢/٨٨٢.

[4] فقه التعامل مع المخالف، د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي، ص٧٨، (مرجع سابق).

[5] مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه، ١٥/١٦٥ـــ١٦٦، مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، نشر وزارة الشؤون الإسلامية، ط١، ١٤١٦هـــ.

وأما ضوابط إنكار المنكر باليد عموماً فهي كما يلي:

أ. العلم بما ينكره، وذلك بأن يكون منكراً في الشريعة[١].

ب. ظهور المنكر، فإذا كان خفياً فالأصل تركه، إلا إذا كان يخشى سريان ضرره إلى المجتمع[٢].

ج. أن يكون المنكر مما اتفق على أنه منكر، أو فيه خلاف شاذ أو ضعيف، فأما ما كان فيه خلاف قوي فلا إنكار فيه في قول أكثر أهل العلم[٣].

د. أن لا يترتب على الإنكار منكر أعظم أو مساوٍ له[٤].

هـ. الرفق في الإنكار[٥].

و. الإنكار يكون حسب القدرة[٦].

فإذا كان تعامل المحتسب مع المخالف باليد لازماً، فعليه أن يتعامل معه وفق هذه الضوابط، لأنه متى ما اختلت الموازين فإن الإفساد يقع مكان الإصلاح، والهدم مكان البناء.

---

[١] انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢/٣٢٠.

[٢] انظر: الأحكام السلطانية، للماوردي، ص٤٠٥، (مرجع سابق). وإحياء علوم الدين، للغزالي، ٢/٣٢٠، (مرجع سابق).

[٣] انظر: الأحكام السلطانية، للماوردي، ص٤٠٦، (مرجع سابق). والأحكام السلطانية، لأبي يعلى الفراء، ص٢٩٧، (مرجع سابق). وإحياء علوم الدين، للغزالي، ٢/٣٢١، (مرجع سابق).

[٤] إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، ج٣، ص٦، (مرجع سابق).

[٥] انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج٢٨، ص١٣٦، (مرجع سابق).

[٦] انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ج٢، ٣١٥، (مرجع سابق).

٥. مجاهدة المخالفين من المنافقين والغلظة عليهم.

لا شك أن ضرر المنافقين أعظم ضرر من الكفار المعلنين لكفرهم، وهم لا يفتئون يبثون شبهاهم وضلالاهم لينخروا بها جسد الأمة، ويبعدوها من منهاجها القويم وصراطها المستقيم؛ فكلما سنحت لهم الفرصة من أجل الطعن في شيء من ثوابت الأمة، أو التشكيك في مسلماها، وسلخ المجتمع من هويته الإسلامية، كانوا هم من يحمل معول الهدم.

ولا ريب أن الأمة تعاني من هذه البلية في كل حين وحين، سيما في وقت المحن والنكبات التي تمر بالأمة ، ويأمن هؤلاء المنافقون من أخذهم بالعقوبة إن هم طعنوا في أصول هذا الدين، فإنهم لا يدعون الفرصة تفوقهم، فيحرصون على إصابة الأمة بسهام فتنهم وشبهاهم، يقول الله تعالى ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1]. ولأجل ذلك جاء الشرع بجهادهم، والحث على الغلظة عليهم، كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2].

أما عن صفة جهاد المنافقين، فيقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: ((واختُلِف في صفة جهاد المنافقين الذي أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم: أمره بجهادهم باليد واللسان، وبكل ما أطاق جهادهم به.

وقيل: بل أمره بجهادهم باللسان.

وقيل: بل أمره بإقامة الحدود عليهم.

---

[1] سورة المنافقون، آية رقم ٤.

[2] سورة التوبة، آية رقم ٧٣.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك، ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه: أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين، بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين.

فإن قال قائل: فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهر أصحابه، مع علمه بهم؟

قيل: إن الله تعالى ذكره إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك.

وأما من إذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها، أنكرها ورجع عنها وقال: (إني مسلم)، فإن حكم الله في كل من أظهر الإسلام بلسانه، أن يحقن بذلك له دمه وماله، وإن كان معتقدا غير ذلك، وتوكل هو جل ثناؤه بسرائرهم، و لم يجعل للخلق البحث عن السرائر. فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم، مع علمه بهم وإطلاع الله إياه على ضمائرهم واعتقاد صدورهم، كان يقرهم بين أظهر الصحابة، ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله، لأن أحدهم كان إذا اطلع عليه أنه قد قال قولاً كفر فيه بالله، ثم أخذ به أنكره وأظهر الإسلام بلسانه.

فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يأخذه إلا بما أظهر له من قوله، عند حضوره إياه وعزمه على إمضاء الحكم فيه، دون ما سلف من قول كان نطق به قبل ذلك، ودون اعتقاد ضميره الذي لم يبح الله لأحد الأخذ به في الحكم، وتولى الأخذ به هو دون خلقه[١])).

ويقول الرازي رحمه الله: ((دلت الدلائل المنفصلة على أن المجاهدة مع الكفار يجب أن تكون بالسيف، ومع المنافقين بإظهار الحجة تارة، وبترك الرفق ثانياً، وبالانتهار ثالثاً،

---

[١] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ٣٦٠/١٤ (مرجع سابق).

قال عبدالله في قوله ﴿ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ تارة باليد، وتارة باللسان، فمن لم يستطع فليُكشر في وجهه، فمن لم يستطع فبالقلب))[1].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: ((جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجة، وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام، ولما كان من أفضل الجهاد قول الحق مع شدة المعارض، مثل أن تتكلم به عند من تخاف سطوته وأذاه، كان للرسل صلوات الله عليهم وسلامه من ذلك الحظ الأوفر وكان لنبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك أكمل الجهاد وأتمه))[2].

وللتقريب بين هذه الأقوال فإننا نقول: إن الجامع لهذه الأقوال، حديث النبي صلى الله عليه وسلم ((**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**))[3].

كما يجب على أهل الحسبة في استخدام هذا الأسلوب أن يراعوا المكان والزمان والأحوال، والقدرة والاستطاعة من عدمها، فإما باليد كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بهدم مسجد الضرار، أو باللسان والبيان، وذلك بفضحهم والحرص على تفنيد شبهاتهم وضلالاتهم، وردع أقوالهم وما يثيرونه بالدليل الشرعي، وعدم السكوت عنهم، وفضح مخططاتهم.

---

[1] مختار الصحاح، للرازي، ١٠٣/١٦، (مرجع سابق).

[2] زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، ٥/٣، مؤسسة الرسالة ـــ بيروت ـــ، ط٢٧، ١٤١٥هـــ.

[3] رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم ١٨٦، ٥٠/١.

وينبغي لأهل الحسبة أن يدركوا بأن جهاد المنافقين أشق من جهاد الكفار وأولى، وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل، والقائمون به أفراد في العالم، والمشاركون فيه والمعاونون عليه وإن كانوا هم الأقلين عدداً فهم الأعظمون عند الله قدراً[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((لا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات، وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب؛ فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين، والصديق وسائر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بدؤوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب؛ فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فُتح من بلاد المسلمين، وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة إظهار الدين؛ وحفظ رأس المال مقدم على الربح))[2].

كما ينبغي لأهل الحسبة مراعاة أن من أعظم حكم الابتلاء الواقع على أمة الإسلام عبر العصور، هو تمييز الصف المسلم وتمحيصه من أصحاب النفوس المريضة؛ ذلك لأن المسلمين إذا كانوا دائماً ظاهرين قاهرين لعدوهم دخل في صفهم من ليس منهم ولا على طريقتهم، وهؤلاء الدخلاء إذا بقوا في الصف على المدى الطويل، فإنهم يفسدونه، ويكونون سبب التفرق والتشرذم، فهم تماماً كالداء الكامن داخل الصف، والأوساخ على الثوب الأبيض، والأكدار التي تعكر صفو الماء الرائق، فإذا لم يجتهد المحستبون في بيان خطرهم وكشف شبهاتهم، فإن العاقبة منهم وخيمة والابتلاء يضمن تطهيراً ذاتياً دائماً

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، ٥/٣، (مرجع سابق).

[2] الفتاوى، لابن تيمية، ٥١١/١، (مرجع سابق).

للصف المسلم؛ يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[1].

وقد أخبر الله جل وعلا أن من مقاصد الشرع أن يعرف المؤمنون الصادقون أهل النفاق الكاذبين حتى يتعاملوا معهم بما يقتضيه الشرع، ولكي يكونوا منهم على حذر، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[2].

وهدد الله المنافقين وأصحاب القلوب المريضة بالفضح على رؤوس الأشهاد بصفات لا تخطئهم حتى يعرفهم الناس بصفاتهم وكلامهم، قال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[3].

وأخيراً يجدر التنبيه هنا على أهل الحسبة، بأن أسلوب القرآن الكريم في فضح المنافقين، لم يتعرض لاسم منافق واحد، بل كان التركيز على فضح أوصافهم وأعمالهم؛ فعلى المحتسب أن يكون احتسابه في بيان وكشف شبهات المنافقين، وفضح مخططاتهم، وبيان أوصافهم وأعمالهم، حتى تحذر الأمة منهم جميعاً.

[1] سورة آل عمران، آية رقم ١٧٩.

[2] سورة التوبة، آية رقم ٤٣.

[3] سورة محمد، آية رقم ٢٩.

الفصل الثالث

معوقات التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف المعوقات.

المبحث الثاني: معوقات التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

المبحث الأول: تعريف المعوقات:

المعوقات في اللغة: يطلق العَوْق على الحبس، والصرف، والتثبيط[1].

يقال: عاقه عن الشيء يعوقه عوقاً: صرفه وحبسه؛ ومنه التَّعْويق والاعْتياق وذلك إذا أراد أمراً فصرفه عنه صارف، وعوَّقه وتعوَّقه: صرفه وحبسه؛ والتَّعوُّق: التَّثبُّط؛ والتَّعويق: التَّثبيط[2].

وهذا المعنى اللغوي لا يختلف عن المعنى المراد بالمعوقات هنا في هذا البحث، وهو: الموانع التي تصرف أهل الحسبة عن التعامل مع المخالفين، أو تثبط عنه.

---

[1] القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص١١٧٩، (مرجع سابق).

[2] لسان العرب، لابن منظور، ٢٧٩/١٠، (مرجع سابق).

المبحث الثاني: معوقات التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة:

هذا الفصل ذو علاقة وثيقة بمختلف فصول هذا البحث، فهو لا يعدو أن يتعلق بشكل ما، بمنهج التعامل مع المخالفين، وبوسائله، وأساليبه، ولعل في ذكر معوقات هذا التعامل وتشخيصها، تتميماً للفائدة من تلك الفصول السابقة، وتكون بياناً عملياً غير مباشر لكيفية تطبيقها على الوجه الصحيح، بالحذر من هذه المعوقات والبعد عن أسبابها.

وفيما يلي عرض لأبرز تلك المعوقات:

١. الرياء:

الرياء في اللغة: ((مشتق من الرؤية، تقول: راءى الرجل: إذا أظهر عملاً صالحاً ليراه الناس))[١]، ومنه قوله تعالى ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[٢].

أما الرياء في الاصطلاح فهو: ((إظهار عمل العبادة لينال مظهرها عرضاً دنيوياً، إما بجلب نفع دنيوي، أو لدفع ضرر دنيوي، أو تعظيم أو إجلال))[٣].

فالمرائي مشغول بمراقبة الناس، مترقب لمدحهم، حريص على تجنب قدحهم وذمهم، لأنه لا يعمل لوجه الله تعالى، كمن يتنازعه شركاء متشاكسون، فهو أسير هوى نفسه ومصالحه الذاتية المتمثلة في تدعيم مكانته في قلوب الناس، ولفت انتباههم ونظرهم له بالقبول والتبجيل، فلا يحتسب على مخالفهم خوفاً من رميه بما لا يحب، أو خسران مكانته عندهم، متناسياً أن الهداية والفلاح من شأن أهل الحسبة المخلصين الصادقين في توجههم، فهؤلاء هم الذين ترعاهم عناية الله، ويكلل النجاح مساعيهم عاجلاً وآجلاً، قال الله تعالى

[١] انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٢٩١/١٤.

[٢] سورة النساء، آية رقم ١٤٢.

[٣] انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، ١٢٤/١. (مرجع سابق).

﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴾[1] أي: ((من رجع إلى الله بالتوبة والإقلاع عما كان عليه))[2]، ويدخل في ذلك من باب أولى التوبة من الشرك وتوابعه، وملازمة الإخلاص[3].

وعدم الإخلاص لله تعالى ينزع هيبة المحتسب من قلوب مخالفيه، فلا يلتفتوا إليه، ولا يلقوا له بالا؛ فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأقربهم منه منزلة أطوعهم له، وعلى قدر طاعة العبد تكون له منزلة عنده، فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينه، فأسقطه من قلوب عباده، وإذا لم يبق له جاه عند الخلق، وهان عليهم؛ عاملوه على حسب ذلك، فعاش بينهم أسوأ عيش، خامل الذكر، ساقط القدر، زري الحال، لا حرمة له[4]؛ فأي تعامل يرجى مع من هذا حاله؟!، قال الله تعالى﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ ﴾[5] ولذلك كان كثير من السلف يحرصون على إصلاح نياتهم، فأعزهم الله، وأنزل هيبتهم في قلوب مخالفيهم، فأمروهم ونهوهم، ورد عنهم كيدهم.

فها هو مالك بن دينار رحمه الله يدخل على أمير البصرة فيقول: ((أيها الأمير، قرأت في بعض الكتب: من أحمق من السلطان؟ ومن أجهل ممن عصاني؟ ومن أعز ممن اعتز بي؟ أيها الراعي السوء دُفِعت إليك غنماً سماناً صحاحاً فأكلت اللحم، ولبست الصوف، وتركتها عظاماً تتقعقع؛ فقال له والي البصرة: أتدري ما الذي يجرئك علينا ويجبنا عنك؟ قال: لا. قال: قلة الطمع إلينا وترك الإمساك لما في أيدينا))[6].

---

[1] سورة الرعد، آية رقم ٢٧.

[2] انظر: تفسير فتح القدير، للشوكاني، ٨١/٣، (مرجع سابق). وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٣١٥/٩، (مرجع سابق). وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤٩٢/٢.

[3] انظر: دوافع الاستجابة للدعوة في الكتاب والسنة، د. سعد بن عبدالرحمن الجريد، ص١٢٦، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

[4] الجواب الشافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية، ص٧١، مكتبة الرياض الحديثة، ط١، ١٣٩٢هـ.

[5] سورة الحج، آية رقم ١٨.

[6] تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، لابن النحاس، ص٤٤، (مرجع سابق).

إن التعامل مع المخالفين مليء بالمتاعب والصعاب، كجفائهم وغلظة معاملتهم، وقلة تقبلهم، بل قد يسعون إلى إلحاق الضرر النفسي والجسدي بالمحتسب؛ فهو في أمس الحاجة إلى صبر شديد يعينه على تحمل هذه المشاق والمصاعب؛ وهذا الصبر لا يتأتى إلا بوجود قوة نفسية كبيرة يستمدها المحتسب من الإخلاص؛ فالمحتسبون مستهدفون في كل زمان ومكان، من جميع أعداء الإسلام، ودعاة الرذيلة والفساد، فأعداؤهم يحيطون بهم من كل ناحية، ساعين إلى تحجيم دورهم بعبارات رنانة يستعدون بها الجهلة من العامة عليهم، كدعاوى الحرية الشخصية وعدم التدخل في شؤون الآخرين، ولا سبيل لمقاومة هذا الكيد بدون الإخلاص لله تعالى والاعتصام به؛ فالشيطان وأوليائه بالمرصاد لكل من سلك هذا السبيل، بالتلاعب في نيته، وتثبيط عزيمته، وتخذيل همته.

فلا شك أن عدم الإخلاص مما يعيق تعامل المحتسب مع مخالفيه، فيقع في مداهنتم، وينصرف الهم إلى ما عندهم من المال والجاه والسمعة، أو يخشى أن يلمزوه ويسخروا منه، فيسكت حتى يرضيهم، وتسكت ألسنتهم عنه.

٢. ضيق الأفق وقصر النظر:

ضيق الأفق لغة: الأفق في اللغة واحد الآفاق التي هي الجهات أو النواحي[١]، قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾[٢] والنظر: هو تأمل الشيء بالعين[٣]، قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[٤] وهو كذلك تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته[٥]، ورؤيته[٥]، قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾[٦]؛ وتبعاً لما ذكرنا، فإن ضيق الأفق في اللغة يعني: انحسار أو انكماش جهة أو ناحية النظر والتأمل، وكذلك قصر النظر يعني ضعف أو اختلال البصر أو البصيرة أو هما معاً.

أما مفهوم ضيق الأفق وقصر النظر في الاصطلاح الشرعي: فهو ضعف أو خلل في البصيرة، يؤدي إلى حصر التفكير أو الرؤية في حدود ضيقة لا تتجاوز المكان والزمان، أو بعبارة أخرى هو ضعف أو خلل في البصيرة يؤدي إلى رؤية القريب وما تحت القدمين فقط، دون النظر إلى البعيد، ودون تقدير الآثار والعواقب[٧]، قال تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى

---

[١] انظر: الصحاح في اللغة والعلوم، نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، تقديم: عبدالله العلايلي، ص٢٧، دار الحضارة العربية ــ بيروت ــ، ط١، ١٩٧٥م.

[٢] سورة فصلت، آية رقم ٥٢.

[٣] انظر الصحاح في العلوم واللغة، نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، ص ١١٧٩، (مرجع سابق).

[٤] سورة الغاشية، آية رقم ١٧.

[٥] انظر: بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد بن علي النجار وعبدالعليم الطحاوي، ٨٢/٥، المكتبة العلمية ــ بيروت ــ، ط١، ت: ب.

[٦] سورة الأعراف، آية رقم ١٨٥.

[٧] انظر: آفات على الطريق، الدكتور السيد محمد نوح، ٢٣٠/١، دار اليقين للنشر والتوزيع ــ مصر ــ، ط١، ١٤١٨هــ.

ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[1].

ولعلنا قبل أن نبين كيف يكون ضيق الأفق وقصر النظر عائقاً من عوائق تعامل أهل الحسبة مع المخالفين لهم، نجد أنه من الأهمية بمكانٍ بيان الأسباب والبواعث التي تؤدي إليه، حتى يحذرها المحتسبون، فنذكر منها ما يلي:

أ. ضعف الصلة بالله عز وجل:

فقد يكون المحتسب ضعيف الصلة بالله تعالى بأن يكون غير محترز من المعاصي والسيئات، لا سيما الصغائر منها، أو أن يكون مفرطاً في عمل اليوم والليلة، أو أن يكون مهملاً لجانب فعل الخيرات؛ فيعاقب على ذلك كله بالحرمان من الحكمة التي هي أساس سعة الأفق، وبعد النظر.

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[2] وقال سبحانه ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[3].

ب. صحبة نفر من ذوي الأفق الضيق والنظر القصير:

وقد يحيط بالمحتسب صحبة ذات أفق ضيق، ونظر قصير، فتسري آثار ذلك إليه، فإذا به يواجه كل المواقف بنفس النمط، وعلى هذا المنوال، والمرء على دين خليله.

---

[1] سورة الحج، آية رقم ٤٦.

[2] سورة الأنفال، آية رقم ٢٨.

[3] سورة البقرة، آية رقم ٢٨٢.

ج. الانزواء والعزلة:

وقد يُؤْثِرُ المحتسب الانزواء والعزلة؛ فيخسر أول ما يخسر الخبرة والتجربة، تلك التي تستفاد من ملازمة الجماعة والارتماء في أحضانها، والتي تساعد على اتساع الأفق، وبعد النظر، وحين يخسر الخبرة والتجربة، فإنه يظل ذا أفق ضيق، ونظر قصير محدود.

د. الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على ضيق الأفق وقصر النظر:

فقد يكون غافلا عن العواقب والآثار المترتبة على ضِيق الأفق وقصر النظر، فيقنع بما هو عليه دون أن يجهد نفسه، أو أن يعمل فكره في تلاشي هذه هذه العواقب، أو تلك الآثار، ومثل هذا يظل طوال حياته ضيق الأفق، محدود النظر[1]، فمثل هذا يحتاج إلى إصلاح نفسه قبل أن يجتهد في إصلاح الآخرين.

أما عن أسباب كون ضيق الأفق وقصر النظر يعدان عائقين من معوقات التعامل مع المخالفين، فللأسباب التالية:

الأول: أن ضيق الأفق وقصير النظر غير مدرك لحقيقة ومضمون الإسلام، من أنه دين ينشد الإصلاح، وتغيير واقع الناس إلى الأفضل، وذلك بتقريبهم من طاعة الله عز وجل، وإبعادهم عن معصيته، وهذا الإصلاح والتغيير نحو الأفضل يقتضي الحكمة التي من لوازمها اتساع الأفق، وبعد النظر، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[2] وقال سبحانه ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ

[1] انظر آفات على الطريق، ١/٢٣٠، (مرجع سابق).

[2] سورة يوسف، آية رقم ١٠٨.

وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[1]، فإذا لم يفهم المحتسب هذا، ويعمل على أن يجهد نفسه في تحصيل الحكمة، فإنه يفسد ولا يصلح ويجانبه الصواب في كثير من المواقف، خصوصاً في التعامل مع المخالفين، لأن فيهم المعاند والمكابر، وفيهم المتلبس بالشبه، وفيهم أهل الأهواء والشهوات وغيرهم، الذين يصعب أن يستجيبوا للحق من أول وهلة، فإذا كانت الحكمة غير حاضرة في هذا التعامل، فإنه تقع الفوضى، فضلاً عن القبول والاستماع للحق.

الثاني: أن المحتسب يواجه في تعامله مع أصناف المخالفين عقبات وصعاب يضعها أعداء الله في طريقه، وضيق الأفق وقصير النظر لا يستطيع استيعابها أو التعامل معها، وحينئذٍ يقف حائراً لا يدرك كيف يواجه هذا العقبات والصعاب، فينكفئ على نفسه ويتقوقع على آلامه.

الثالث: أن ضيق الأفق وقصير النظر دائم التصادم، شديد التصلب، لا يقبل أن يخالفه أحد، فهو في حال عدم استجابة المخالف له ــ وإن كان في أمرٍ يسير يمكنه أن يغض الطرف عنه لتحقيق مصلحة أرجح ــ فإنه حيئذٍ يسلقه بلسان حاد، ويلغ في عرضه، ويتهم نيته، فأنَّى لمثل هذا أن يُسْمَعَ له، أو يُقْبلُ منه.

الرابع: أن ضيق الأفق وقصير النظر يسعى لفرض آرائه دون الاستماع إلى رأي من يخالفه، بل يريد منه السير وفق تصوره الضيق، ورؤيته المحدودة، والنفس البشرية بطبيعتها لا تقبل أن تُفرض الآراء عليها عنوةً وقسراً، فمآل مثل هذا أن ينعزل عن الناس، بل سيبدأ الناس قبل ذلك بالانعزال عنه وتركه وحيداً، وكم ممن يملك من العلم، لا يحسن تعاملاً مع الموافقين فضلاً عن المخالفين، فلا نجد حوله إلا فئة قليلة لا تذكر، وما ذاك إلا لضيق أفقه

---

[1] سورة النحل، آية رقم ١٢٥.

ورغبته بفرض أرائه، وتعنته، وعدم قبول مناقشته فيما يراه صحيحاً، بل ويرى ذلك تنقصاً من قدره، فحري بمثل هذا أن ينفر منه الصالحين، فضلاً عن المخالفين من أهل الفجور والعناد.

٣. اليأس من صلاح المخالف:

اليأس في اللغة يأتي على عدة معانٍ منها:

أ. انقطاع الأمل من الشيء، وانتفاء الطمع، تقول: يئس من الشيء ييأسُ، وييئس يائساً، ويآسةً: انقطع أمله منه، وانتفى طمعه فيه فهو يائس، ويؤوس، ويئس، ومن: يئست المرأة: عقمت، فهي يائسة، ويئسة، ويقال للعقيم من النساء: يائس[١].

ب. الذل أو القهر والخضوع، أو اللين والتصاغر، تقول: آس أيساً، ذلَّ وخضع، وأس فلانٌ فلاناً: قهره: وتأيَّس فلانٌ فلاناً: لان وتصاغر[٢]. وبناءً على هذه التعريفات فإننا يمكن أن نعرف اليأس فنقول: هو انقطاع الرجاء من صلاح المخالف، بصورة تفضي إلى الركون والقعود عن الإنكار عليه.

إن اليأس من أكبر العوامل التي تجر المحتسب إلى الوهن والفتور، وتقعده عن العمل والإصلاح، خصوصاً مع المخالفين، لأن منهم من هو من أهل الفسوق والعصيان، ومنهم الضال المتلبس بشبهة، ومنهم من مرت عليه دهورا وأزمنة وهو يسلك طريقاً خاطئاً يحتاج معه إلى كثير من الجهد والتوجيه؛ فقد يقول قائل: هؤلاء ميئوس من صلاح أحوالهم؛ ثم يتخذها حجة لتركهم والإعراض عن توجيههم وبذل النصيحة لهم، متناسياً أن الله عز

---

[١] انظر القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ٣٧٩/٢، مادة: يئس، (مرجع سابق).

[٢] انظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٤٣/١، (مرجع سابق).

وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] وقد هذا كان مع بُعد الضلال، وعظيم الإجرام.

ولعلنا نوجز في نقاط الأسباب التي تجعل من اليأس عائقاً من عوائق التعامل مع المخالفين، حتى يحذرها أهل الحسبة ويبتعدوا عنها؛ وهي كما يلي:

الأول: إن اليأس سوء ظن بالله، وهيهات لمن أساء الظن بالله عز وجل أن ينصر دينه، ويصلح غيره، فهو يحتاج إلى إصلاح نفسه أولاً؛ فسوء الظن بالله تبارك وتعالى يؤدي بصاحبه إلى عدم الدفاع عن دينه والانتصار له، لاعتقاده السيئ أن عمله لن يجدي نفعاً، خاصةً مع قوة وهيمنة المخالفين من أعداء الله، وقد حذَّر الله جل وعلا أمثال هؤلاء بقوله ﴿وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾[2] وكما قال عز من قائل ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾[3].

يقول ابن القيم رحمه الله: ((فمن ظن بأنه لا يَنْصُر رسوله، ولا يُتم أمره، ولا يؤيده، ويؤيد حزبه ويعليهم، ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه، وكتابه، وأنه يُديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالةً مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق

[1] سورة المائدة، آية رقم ٦٧.

[2] سورة آل عمران، آية رقم ٥٤.

[3] سورة الفتح، آية رقم ٦.

اضمحلالاً، لا يقوم بعده أبداً، فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله، وجلاله، وصفاته، ونعوته))[1].

فلا يُرجى ممن هذه أحوالهم، وبلغ بهم اليأس مبلغه، وجَرَّهم إلى الظن بالله ظن السوء، وأنه لا يكون معهم، ولا يؤيدهم، وينصرهم، ويظهرهم، فلا يرجى منهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ولا أن ينصروا دين الله تبارك وتعالى.

الثاني: اليائس متعلق قلبه بالنتائج فقط، فما إن يرى أن هذا التعامل لم يؤت ثماره مباشرة حتى يتقاعس ويتراخى؛ ولا شك أن العبد يفرح بقبول دعوته واستجابة أمره ونهيه، لكن هذا لا ينبغي أن يجعل القلب يتعلق بالنتائج، فالله سبحانه وتعالى لم يتعبدنا بها وإنما تعبدنا بالعمل، ولا أوضح في الدلالة على ذلك من قوله تعالى ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴾[2]، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ((**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل**))[3]، فمن ذا الذي سيستفيد من هذه الفسيلة والساعة قد قامت؟! اللهم إلا من غرسها بأن يجد عملاً صالحاً في صحيفته، وتأمل! فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ((**عرضت علي الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد**))[4]، فمع شدة إعراض أقوامهم، ومع ما

---

[1] انظر بدائع التفسير، لابن قيم الجوزية، تحقيق: يسري السيد، صالح الشامي، ١/٥١٩، دار ابن الجوزي ـــ الرياض ـــ، ط، ١٤١٤هـــ.

[2] سورة الشورى، آية رقم ٤٨.

[3] رواه أحمد في مسنده، حديث رقم ١٣٠٠٤، ٣/١٩١، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة، ١/٨.

[4] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، حديث رقم ٥٣٧٨، ٥/٢١٥٧. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، حديث رقم ٥٤٩، ١/١٣٧.

تعرض له أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، فقد قاموا بأمر الله تعالى بمواصلة دعوتهم ومحاولة استصلاحهم.

الثالث: أن بعض المحتسبين ما أن يرى قوة تمسك المخالف بباطله، وانغماسه فيه، ودفاعه عنه؛ حتى يدب اليأس في نفسه فيضعفه، ويخالطه شعور بأن جهده سيذهب أدراج الرياح، وأنه يسير عكس التيار إذا ما بذل له النصيحة وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، فيفقد الأمل في الإصلاح، وينكفئ على نفسه، ويستسلم للواقع.

الرابع: اليائس لا صبر له ولا إرادة، وأكثر المخالفين يحتاجون إلى كثير صبرٍ وبذل المزيد من الوقت والجهد، واليأس بدوره يضعف الهمة ويزعزع القوة، فالهمة القوية، والعزيمة الصادقة، والإرادة العالية، تزرع الثقة والرجاء في النفوس أن تتخطى العوائق والحواجز، كما أنها تبعث على الأمل، وتساعد على الصبر والتجلد، ذلك أن الأمل أكبر معين على الصبر على طول الطريق ومشاقه وأن اليأس من أقرب الطرق إلى الوهن والفتور؛ فمن المعروف أنه إذا فُقد الأمل فلا عمل.

٤. الخوف:

للخوف في اللغة معاني عديدة منها: ((الفزع، والقتل، والقتال، والتنقص))[1]، وأبلغ من ذلك وأقرب للمعنى المراد في هذا المقام قولهم: ((حائط مخوف، إذا كان يخشى أن يقع))[2].

وللخوف في الاصطلاح عدة تعريفات، نذكر منها ما يلي:

أ. عُرِّف بأنه: ((توقع حصول المكروه للمتوقع))[3].

ب. وذكر بأنه: ((تألم من مكروه يتوقع))[4].

والتوقع له دلالة واسعة، بمعنى أنه قد يتوهم في أمر ما أنه يخيف وهو عكس ذلك، أما التألم فإنه يوحي بوقوع أمر يستوجب الخوف بدلالة أكيدة[5].

ج. ويقدم الغزالي تعريفاً شاملاً للمعنيين السابقين فيقول: ((هو عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال))[6].

وهذا من أكثر التعريفات دقةً وقبولاً، إذ هو الموافق لما في كتاب الله في مواطن كثيرة، ومنها هذا الموطن وهو قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[7].

يَحۡزَنُونَ ﴾[7].

[1] انظر لسان العرب، مادة خوف، ٩٩/٩، (مرجع سابق).

[2] انظر المرجع السابق نفسه، مادة خوف، ٩٩/٩، (مرجع سابق).

[3] التحرير والتنوير، ٢١٦/١١، (مرجع سابق).

[4] تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا، ٢٣٦/٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ب، ١٩٩٠م.

[5] دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها، عبدالرحمن بن يوسف الملاحي، ص٢٤٠، دار عالم الكتب ـــ الرياض ـــ، ط١، ١٤١٤هـ.

[6] إحياء علوم الدين، للغزالي، ١٤٥/٤، (مرجع سابق).

[7] سورة البقرة، آية رقم٢٧٧.

والخوف قسمان: محمود، ومذموم؛ فالمحمود هو المطلوب شرعاً وعقلاً وفطرةً؛ قال تعالى ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] وقال سبحانه ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[2] وقال عز من قائل ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[3].

أما الخوف المذموم: فهو أساس كل شر، وخلاصته: أن الإنسان يخاف من غير الله تعالى، ويترقى به الخوف حتى يجره إلى ترك الحق[4].

والذي يهمنا هنا، هو الحديث عن الخوف السلبي المذموم في كونه يشكل عائقاً من المعوقات التي تقعد أهل الحسبة عن التعامل مع المخالفين لهم بما يناسب الحال؛ وبيان ذلك في أمرين:

الأول/ الخوف من التأثر بفتنة المخالف:

هناك من يترك التعامل مع المخالفين والاحتساب عليهم، بحجة أن هذا الترك هو من باب الهروب من الفتنة، مع أن هذا التارك يملك من المقومات ما يؤهله لدفع حججهم، وتعرية شبهاتهم، وكشف زيغهم، فيحذرهم مما هم فيه، ويحذر الناس منهم؛ وقد تحدث ابن تيمية رحمه الله تعالى عن هذه الآفة فقال: ((وأقوام ينكلون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يكون به الدين، وتكون كلمة الله هي العليا لئلا يُفتنوا، وهم قد سقطوا في الفتنة، وهذه حال كثير من المتدينين يتركون ما يجب عليهم من أمر ونهي وجهاد يكون به الدين كله لله لئلا يُفتنوا بجنس الشهوات، وهم قد وقعوا في الفتنة التي هي أعظم مما زعموا أنهم فروا منها))[5].

---

[1] سورة آل عمران، آية رقم ١٧٥.

[2] سورة المائدة، آية رقم ٤٦.

[3] سورة ق، آية رقم ٤٥.

[4] انظر دوافع إنكار دعوة الحق، ص٢٤٤، (مرجع سابق).

[5] انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٦٧/٢٨، (مرجع سابق).

وذكر في موطن آخر أن المرجئة وأهل الفجور قد يرون ترك التعامل مع المخالفين، ظناً أن ذلك من باب ترك الفتنة؛ حتى أن بعضهم أسقط شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]! فهؤلاء لا يقتصرون على مجرد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن في ذلك تفريطاً ظاهراً وعصياناً بيناً؛ لكنهم تجاوزوا ذلك إلى بليَّة أطم؛ حيث صيَّروا هذا التقاعس والتنصل من باب التخوف من الفتنة، والحذر من الولوج إليها، لكن الواقع أنهم في فتنة متحققة؛ فهم فروا من فتنة متوهمة ومتوقعة إلى فتنة متحققة واقعة؛ قال تعالى عن أمثال هؤلاء ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].

لكن ينبغي التنبه إلى أن ما ذُكر، يختص بمن يملك القدرة على التعامل مع المخالفين، كالعلماء وممن له حظ من العلم الشرعي، والنظر والاستدلال والقدرة على الحوار، فقد لا يصلح للإنكار على بعض المبتدعة والمنافقين إلا من توفر فيه ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فمن كان قادراً ومؤهلاً فعليه الانتصار والمدافعة ومجانبة العجز ووساوس الشيطان، ومن كان عاجزاً فعليه بلزوم الصبر والتجلد والحذر من الجزع واليأس، كما يقرر ذلك أيضاً ابن تيمية رحمه الله فيقول: فالأمر أمران: أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه، وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه))[3].

وما حققه ابن تيمية لَيُؤكد أهمية الرسوخ والفقه لأحكام الاحتساب، كما يقرر ضرورة تحريك الفقه الباطن، وإحياء واعظ الله في قلب كل مسلم، قال تعالى ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ

[1] انظر: الآداب الشرعية، لابن مفلح، ١/١٧٧، (مرجع سابق).

[2] سورة التوبة، آية رقم ٤٩.

[3] مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٨/٣٢٠، (مرجع سابق).

﴿نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾[1] فالإنسان شاهد ومحاسَب، ومعاذيره لا تُقبل، بل يقرر بعمله؛ فالعبد وإن أنكر أو اعتذر عما عمله، فإنكاره واعتذاره لا يفيدانه شيئاً[2]؛ فالاعتذار عن النفس بالباطل، والجدال عنها لا يجوز[3].

وبعد هذا كله نقول: على أهل الحسبة أن يحذروا من ترك المخالفين، ففي هذا الترك نشر لمخالفاتهم وفسقهم وضلالاتهم، وأن يحذروا من أن تقعدهم وساوس الشيطان عن العمل لدين الله جل وعلا، فالفتنة كل الفتنة في ترك المخالف ومخالفته، والضال وضلالته، والمبتدع وبدعته، والفاسق وفسقه.

الثاني: المبالغة في تعظيم شأن أذى المخالف:

وهذا من أكبر الأسباب الداعية لإصابة المحتسب بالوهن فكم ممن أقصره خوفه ـــ غيرَ المبرر ـــ عن الدخول في ميادين الاحتساب والتعامل مع المخالفين بما يقتضيه الحال؛ وللقرآن الكريم أبلغ الكلم في تصوير حال الجبناء إذ يصفهم ويرينا كيف يظهر أثر الجبن في أبصارهم إذ يقلبوها وهم في ذهول كمن أدركه الموت، فيقول ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾[4] كما أن القرآن الكريم نعى على الجبناء خوفهم الذي أقعدهم عن الجهاد في سبيل الله ﴿رَضُواْ بِأَن

[1] سورة القيامة، الآيتان ١٤ـــ١٥.

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، ٢٤/٧، (مرجع سابق).

[3] مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٤٤٧/١٤، (مرجع سابق).

[4] سورة الأحزاب، آية رقم ١٩.

﴿ يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾[1]؛ فهذا خوف سلبي مانع من القيام بواجب الاحتساب، ولهذا صح أن يكون سبيلاً إلى الوهن والفتور[2].

أما إذا غلب على ظن المحتسب أنه يلحقه الأذى ومن معه بسبب سطوة المخالفين، ففي هذه الحالة تراعى المصالح والمفاسد، والقدرة على دفع ما يلحق من أذى من عدمها؛ فكما هو معلومٌ أن الإنكار يجب على من رأى منكراً أن ينكره وأن يغيره بحسب الاستطاعة والقدرة، فَيُغيره بيده، فإن كان لا يستطيع غيَّره بلسانه، فإن كان لا يستطيع أنكره بقلبه، ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد الخدري ((**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**))[3].

يقول الإمام القرطبي رحمه الله: ((قال ابن عطية: والإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه وأمن الضرر على نفسه وعلى المسلمين، فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر ذا المنكر ولا يخالطه))[4].

وفي الحديث الشريف دلالة على جواز ترك التعامل مع المخالفين لوجود مانع، كخوف فتنة، أو خوف على نفس أو عضو، أو مال محترم، أو شهر سلاح؛ أما بقلبه فينكره وجوباً، بأن يكرهه به ويعزم أنه لو قدر بقول أو فِعْلٍ فعل.

---

[1] سورة التوبة، آية رقم ٨٧.

[2] الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، د. محمد بن إبراهيم الحمد، ص٧٨، دار ابن خزيمة ــ الرياض ــ، ط٧، ١٤٢٧هـ.

[3] رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم ١٨٦، ١/٥٠.

[4] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٦/٢٥٣، (مرجع سابق).

٥. الكبر:

من معاني مادة كبر في اللغة أنه: نقيض الصغر ويدل على العظمة، والملك، والرفعة، والشرف والتجبر، وما اعتبر فيه المنزلة، والإثم الكبير، والجبل العظيم.

ولعلنا نذكر تعريفاً آخر مهماً في هذا المقام وهو: أن الاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً[١].

أما في الاصطلاح: فقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم الكبر فقال: ((**الكبر بطر الحق وغمط الناس**))[٢]، وهذا التعريف هو محور وعمدة تعاريف العلماء من سلف وخلف[٣].

ويصفه القرطبي بأنه: الاستعظام[٤]، والتكبر هو إظهار إعجابه بنفسه بصورة تجعله يحتقر الآخرين في أنفسهم، وينال من ذواتهم، ويترفع عن قبول الحق منهم[٥]؛ وهناك محاولات متفرقة لاستخلاص مفهوم الكبر، ومرد ذلك كله إلى الحديث الشريف السابق.

والكبر داءٌ عضال، ومن أكبر أسبابه ما ينشأ عن شدة الإعجاب بالنفس، واختلال القيم ومعايير التفاضل عند الناس، كتفضيل صاحب الدنيا، حتى لو كان عاصياً، واحتقار الفقير ولو كان من أهل الصلاح والالتزام بشرع الله تبارك وتعالى[٦]؛ وهو من أبرز ما يعيق تعامل تعامل أهل الحسبة مع مخالفيهم، سواءً أكان الكبر في نفس المحتسب، أو في نفس المخالف، وبيان ذلك فيما يلي:

---

[١] لسان العرب، لابن منظور، مادة كبر، ٦/٤٤٣،.(مرجع سابق).

[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم ٢٧٥، ١/٦٥.

[٣] انظر: الفتاوى، لابن تيمية، ٧/٦٢٥،.(مرجع سابق). وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١/٢٩٦، (مرجع سابق). وانظر: فتح القدير، للشوكاني، ١/٦٦، (مرجع سابق).

[٤] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١/٢٩٦، (مرجع سابق).

[٥] آفات على الطريق، السيد محمد نوح، ١/١٥١، (مرجع سابق).

[٦] انظر: آفات على الطريق، ١/١٥٢ وما بعدها، (مرجع سابق).

أولاً/ إذا كان الكبر في نفس المحتسب فإنه يعيقه عن التعامل مع المخالفين للأسباب التالية:

أ. ذلك أن الكبر يورثه حب انحناء المخالف له، وأن يكون دوماً في ركابه ــ إشباعاً لرغبة الترفع والتعالي ــ وهذا ما تأباه كرامة الناس؛ فمثل هذا لا بد له من عقوبات لتكبره وتعاليه على عباد الله، ومن هذه العقوبات: الحرمان من القبول عند الناس ونفورهم منه، بل إن الحق ينفر منه كذلك، كما قال تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[1]، وهنا تكبر المصيبة والخسران، فحرمان من القبول في الأرض، وحرمان من التبصر ومعرفة الحق.

ب. كما يورث الكبر شمائل سيئة بغيضة، كصعر في الوجه، وهذا ما حذَّر لقمان ابنه منه ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾[2] أي لا تتكبر فتحتقر عباد الله[3]، وإظهار علوه وتكبره حتى في مشيته ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾[4] أي خيلاء متكبراً جباراً عنيداً[5]، كما يأبى الكبر الكبر إلا أن يُظهر أهله بالمظهر السيئ في نبرات أصواتهم، واختيارهم لأساليب المخاطبة، ولذا جاء التحذير من هذه الصفات ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[6].

ولذا فلا حظ لمن كان هذا حاله أن يُقبل الناس عليه، فضلاً عن المخالفين من أهل الشقاق والعناد والتكبر.

---

[1] سورة الأعراف، آية رقم ١٤٦.

[2] سورة لقمان، آية رقم ١٨.

[3] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٧١٠/٣، (مرجع سابق).

[4] سورة لقمان، آية رقم ١٨.

[5] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٧١٠/٣، (مرجع سابق).

[6] سورة لقمان، آية رقم ١٩.

إن هذا كله ما تأباه كرامة الناس جميعاً، بل لا يستعدوا للسماع منه أصلاً، فضلاً عن قبول ما يجيء به، ذلك أن القلوب جبلت على حب من ألان لها الكلام، وخفض لها الجناح، ونظر إليها من دون استعلاء، أما من ترفع عليها واحتقرها وازدراها أو نال منها؛ فإنها تبغضه، وتنفر منه، بل وتحاول الابتعاد عنه. ولا حظ لمن هذا حاله أن يُقبل الناس عليه، فضلاً عن المخالفين.

ج. التعالي عن التعامل مع بعض المخالفين، بحجة الترفع عن مخاطبة أهل الفسق والعصيان، والتنزه عن التعامل معهم؛ فإن قال قائل: كيف أتواضع لأهل الزيغ والضلال؟

نقول: قد أجاب عن هذا السؤال أبو حامد الغزالي رحمه الله فقال: ((فإن قلت كيف التواضع للفاسق والمبتدع وقد أمرت ببغضهما، والجمع بينهما متناقض؟ فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق، إذ يمتزج غضبك لله في إنكار البدعة والفسق بكبر النفس، والإذلال بالعلم والورع، فكم من عابد جاهل، وعالم مغرور إذا رأى فاسقاً جلس إلى جانبه أزعجه ذلك، وتنزه منه لكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه غاضب لله؛ وذلك لأن الكبر على المطيع ظاهر كونه شراً والحذر منه ممكن، والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير، فإن الغضبان أيضاً يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب، وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه، وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما إلا الموفقون.

والذي يخلصك من هذا، أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع، أو الفاسق، أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور:

أحدها: التفاتك إلى ما سبق من ذنوبك وخطاياك؛ ليصغر عند ذلك قدرك في عينك.

والثاني: أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم، واعتقاد الحق، والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى وله المنة لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك، وإذا لم تعجب لم تتكبر.

والثالث: ملاحظة إيهام عاقبتك وعاقبته أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر))[1].

فليحذر المحتسب من الكبر واستعظام نفسه، والاستهانة بالناس واستصغارهم، لأن هذا من أكبر أسباب ترك الناس له، وعدم الالتفات إليه، فكلما كان متواضعاً لدى الناس كان إقبالهم عليه أكبر، واجتماعهم حوله أكثر، ولا شيء يكسب قلوب الناس مثل التواضع للناس؛ ولذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يدخل السوق ليسلم على الناس، فكان الناس إذا رأوه استبشروا، وانكبوا عليه، يستفتونه فيفتيهم ويحل قضاياهم، قال رضي الله عنه: إني لأغدو إلى السوق وما بي حاجة إلا أن أسلم ويسلم علي[2].

فإذا أردت استمالة قلوب الناس، فضلاً عن المخالفين لك، فتواضع لهم، واستمع إليهم، وأظهر اهتمامك بهم، وحرصك عليهم.

ثانياً/ أما إذا كان الكبر في نفس المخالف، فإنه كذلك ولا شك يعيق التعامل معه، وذلك للأسباب التالية:

أ. الرغبة بعدم الخضوع لأحد[3]، والتعالي على الحق وأهله؛ فالكبر إذا استعر في النفس فإنه يعني الترفع عن الخلق، وأنه أحق بكل أمر كبير؛ ومن ذلك رفض الكبراء اتباع الرسل

---

[1] إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣/٣٦٥، (مرجع سابق).

[2] شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: د. عبدالعلي بن عبدالحميد حامد، ٦/٤٣٥، برقم ٨٧٩٤، مكتبة الرشد ــ الرياض ــ، ط١، ١٤٢٣هـ.

[3] انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالله بن حسن حبنكة الميداني، ١/٦٦٠، دار القلم ــ دمشق ــ، ط١، ١٣٩٩هـ.

والتسليم لهم لأن هذا يعني أنهم سيصبحون مكلفين بخدمتهم، وبذل النفس، والمال، بعد أن كانوا رؤساء متبوعين[1]؛ فاستكبروا وأعرضوا عن الحق ودواعيه.

ومتى ما عظمت هذه الرغبة فإنها تولد في سلوك المتكبر الطغيان، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[2] وقد ذهب الرازي رحمه الله في تفسير هذه الآية إلى القول: ((أن أبا جهل ازداد طغياناً وتعززاً بماله ورياسته في مكة))[3]، فبتكبره بما أُنعم عليه يرى أنه لا أحد يستحق المتابعة، فأنى يخضع مثله للحق أو لداعي الحق.

ب. المتكبر معجب بنفسه، ويراها فوق الغير، فلا يلتفت إلا لرأيه ونظره، قال الله تعالى على لسان فرعون ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾[4] فبسبب إعجابه بنفسه، لحسبه ونسبه وماله ومكانته عند الناس، فإنه لا يرى أن أحداً يستحق توجيهه وإرشاده، ونصحه وتعليمه.

يقول الغزالي رحمه الله: ((فإنه إذا أعجب بعلمه، وعمله، أو بشيء من أسبابه استعظم وتكبر، وجحد الحق وأهله))[5]؛ ولذلك حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من العجب فقال ((**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**))[6]، ومن أعظم ما يُهلك الإنسان: إعراضه عن استماع الحق، والزهد به وبأهله.

---

[1] انظر: مفاتح الغيب، فخر الدين الرازي، ٦٦/١٢، (مرجع سابق).

[2] سورة العلق، آية رقم ٦.

[3] انظر: مفاتح الغيب، فخر الدين الرازي، ١٨/١٦، (مرجع سابق).

[4] سورة غافر، آية رقم ٢٨.

[5] إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣٢٩/٣، (مرجع سابق).

[6] رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم ٦٥١، ٣٠١/١١، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم ٧٣١، ٢٠٣/٢، والبزار في مسنده، حديث رقم ٧٢٩٣، ٣٤٦/٢، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم ٢٦٠٧، ٣٦٥/٢.

ج. أن الكبر يورث الحقد، وهو إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها[1]، وهذه العداوة لا حد لها في قلب الحاقد إلا إفناء المحقود عليه وإلغاؤه من الوجود[2]، فأبو جهل يقول لحظة مماته أخبروا محمداً أني أموت وما أحد أبغض إلي منه[3]، وصناديد قريش مع بعد العهد والمسافات بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقولون لخبيب بن عدي بعد أن رفعوه على الخشبة لصلبه: أتحب أن محمداً مكانك[4]؟!.

فالمتكبر لجهله وعمى بصيرته قد يحقد على من ينصحه ويوجهه ويرشده ويريد به خيراً، ولأجل هذا الحقد فإنه لا يقبل أن يتواضع له، أو يأخذ منه.

د. كما أن الكبر يورث الحسد، والحسد قد يدعوه إلى جحد الحق، وعدم قبول النصيحة وتعلم العلم تكبراً على المحسود؛ فهذا أبو جهل وقريش تقر للنبي صلى الله عليه وسلم بالصدق والأمانة، ولكنهم حسدوا بني هاشم أن تكون النبوة فيهم[5]؛ فهم يعرضون عن الحق وداعيه مع علمهم بأنه يستحق المتابعة والإجابة بفضل ما يحمله من خير وفضيلة، ولكن الحسد يدفعهم بأن يعاملوه بأخلاق المتكبرين، وإن كانوا في قرارة أنفسهم لا يرون أنفسهم فوقه.

---

[1] انظر: لسان العرب، ١٥٤/٣، مادة حقد، (مرجع سابق).

[2] انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالله حسن حبنكة، ٣٢٢/١، (مرجع سابق).

[3] انظر السيرة النبوية، لابن كثير، ١٣١/٣، (مرجع سابق).

[4] انظر المرجع السابق نفسه، ١٣١/٣.

[5] انظر السيرة النبوية، لابن هشام، ٢٧٦/١، (مرجع سابق).

الفصل الرابع

آثار التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة

ويشتمل على:

المبحث الأول: تعريف الآثار لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: آثار التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة.

المبحث الأول/ تعريف الآثار لغة واصطلاحاً:

أ. تعريف الآثار في اللغة:

الآثار جمع أثر، والأثر بقية الشيء، والجمع آثار وأثور، وخرجت في إثره وفي أثره أي: بعده؛ وأتثرته وتأثرته: تتبعت أثره؛ وأثر بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء؛ والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء؛ وأثَّر في الشيء: ترك فيه أثراً؛ والآثار: الأعلام، ويطلق أيضاً على الخبر، والجمع آثار والأثر مصدر قولك أثرت الحديث إذا ذكرته عن غيرك[1].

وجميع هذه المعاني تدل على أن الأثر ما دل على الشيء في الماضي.

ب. الآثار في الاصطلاح:

هناك تعريفات لا تبعد عن التعريف اللغوي؛ حيث ذكر الراغب الأصفهاني: ((بأن أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده، ويقال أثر وأثَّر، والجمع الآثار، ويقال للطريق المستدل به على من تقدم آثار))[2].

وعرَّفها القرطبي رحمه الله فقال: ((الأثارة والأثر: البقية، يقال ما ثم عين ولا أثر أو أثارة خاصة من علم؛ والمأثور: ما يتحدث به مما صح سنده عمن تحدث به عنه))[3].

وليس بين التعريف اللغوي والاصطلاحي بعد ولا منافاة، حيث أن التعريف اللغوي يدل على حصول الشيء، وأما المعنى الاصطلاحي فيرشد إلى أن الأثر بقية الشيء، وكلاهما يعطي معنى واحدا.

[1] لسان العرب، لابن منظور، ٤/٥ ـــ ٦، (مرجع سابق).

[2] المفرادت في غريب القرآن، ص٩، (مرجع سابق).

[3] الجامع لأحكام القرآن، ١٢١/١٦، (مرجع سابق).

المبحث الثاني/ آثار التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة:

للتعامل مع المخالفين لأهل الحسبة آثار عديدة وجليلة، ويستطيع المحتسب ــ بمشيئة الله ــ تحصيل هذه الآثار أو بعضها إذا كان هذا التعامل وفق المنهج الشرعي، سواءً رجع المخالف عن مخالفته وانتهى عنها، أم بقي عليها؛ ومعرفة هذه الآثار وتجليتها مما يشجع على العمل لتحصيلها؛ ونعرض فيما يلي أبرز هذه الآثار:

١. إعلاء كلمة الله.

قال الله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[1]. قال النسفي رحمه الله: ((أي ليعليه على أهل الأديان كلهم، أو ليظهر دين الحق على كل دين ولو كره المشركون))[2]؛ فقد تكفل الله عز وجل بحفظ دينه وإعلاء كلمته، وجعل لذلك أسباباً كثيرة، ومنها توفيقه جل وعلا لأهل الحسبة بالتعامل مع المخالفين بما يناسبهم، إما عن طريق استصلاحهم بالتلطف معهم وتعليمهم والرد عليهم برفق وحسن خطاب، كما قال تعالى ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[3] أو بالغلظة عليهم وردعهم ومجاهدتهم، كما قال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾[4] وهذا بحسب ما تقتضيه الحكمة التي أمر الله تعالى بها في الدعوة إليه عموماً

[1] سورة التوبة، آية رقم ٣٣.

[2] مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، ٤٤١/١، دار النفائس ــ بيروت ــ، ط١، ١٤١٧هــ.

[3] سورة العنكبوت، آية رقم ٤٦.

[4] سورة التوبة، آية رقم ٧٣.

حيث قال سبحانه ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1]؛ ففي هذا كله تحقيق لإعلاء كلمة الله عز وجل بنشر دينه وردع الظالمين. فإعلاء كلمة الله هنا، تكون بالسعي لاستصلاح حال المخالف ابتداءً بالرفق واللين، فإذا لم ينته عن نشر فتنه وضلالاته التي قد يفتن بها المؤمنين فيشككهم في معتقداتهم، أو يُعادي بها دين الإسلام فيحذر الناس منه، أو يعتدي على أتباعه لمجرد كونهم مسلمين لفتنتهم عن دينهم[2]، فإنه تشرع مجاهدته حتى يترك ما هو عليه، لتكون كلمة الله هي العليا، فالجهاد صورة من صور التعامل مع المخالفين وقد شُرع للغرض نفسه، قال تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3]. قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ أي: ((يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان، وقوله تعالى ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فإن انتهوا عما هم فيه من الشرك، وقتال المؤمنين، فكُفُّوا عنهم، فإن من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم))[4].

وقال تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[5] أي: ((فلا يفتن مؤمن عن دينه، ويكون

---

[1] سورة النحل، آية رقم ١٢٥.

[2] انظر: الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، ٥٠٦/٤، تحقيق: أبو عبيدة مشهور آل سليمان، دار ابن عفان ــ القاهرة ــ ط١، ١٤١٧هـ.

[3] سورة البقرة، آية رقم ١٩٣.

[4] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣٠٧/١.

[5] سورة الأنفال، آية رقم ٣٩.

التوحيد لله خالصاً ليس فيه شرك، ويخلع ما دونه من الأنداد، فتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى))[1].

ومما يستفاد من هاتين الآيتين الكريمتين: أن في مجاهدة أهل الكفر والعدوان إعلاءٌ لكلمة الله بنصرة دينه وردع المخالفين المعتدين، كما بيَّن الله عز وجل أن في مدافعة ومغالبة أهل الضلال والعدوان حفظاً لدينه، وانتصاراً لشعائره، قال تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[2]. قال الإمام الطبري رحمه الله: ((وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض لهدم ما ذكر من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض وكفه المشركين بالمسلمين عن ذلك))[3].

وحين نتأمل في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع المخالفين، نجد أن أول وأهم ما حققه هو إعلاء كلمة الله عز وجل، وذلك إما بصلاح المخالفين وهدايتهم وائتمارهم بأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وإما بردعهم وكف أذاهم وتنحيتهم عن طريق دعوته إذا اعترضوها، فكان جهاده صلى الله عليه وسلم لتحقيق هذا المبدأ العظيم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم**

[1] انظر جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ٥٣٩/١٣.
[2] سورة الحج، آية رقم ٤٠.
[3] جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ٥٧٠/٣، (مرجع سابق).

وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله))[1]، وفي الحديث ((**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**))[2]، ويوم خيبر أعطى النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه الراية، فقال علي: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم ((**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يُهدى بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النَّعم**))[3].

فالحاصل مما سبق أن ثمار وآثار التعامل مع المخالفين إعلاءً كلمة الله، وذلك بتعليم المخالف الراغب في الحق بنصحه وتوجيهه وإرشاده، وبجهاد من عاند ورام الإفساد والضلال، وغواية الناس، حتى يرتدع عن الباطل ويكف شره عن الناس.

٢ .كسب المخالف، وقطع أسباب الشحناء:

إن العلاقة بالمخالف من الأهمية بمكان؛ لأن اختلال ميزانها يؤدي إلى الاختلاف المذموم المفضي إلى فساد الأحوال في الدين والدنيا؛ قال الله عز وجل ﴿ **وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ** ﴾[4] وطاعة الله جل وعلا وطاعة نبيه عليه الصلاة والسلام تكون حتى في التعامل مع المخالفين، وهذا من شأنه أن يُضيق هوة الخلاف، ويبعد

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، حديث رقم ٢٥، ١/١٧. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم ٣٥، ١/٣٩.

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حديث رقم ٢٦٥٥، ٣/١٠٣٤. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، حديث رقم ٥٠٢٩، ٦/٤٦.

[3] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، حديث رقم ٢٧٨٣، ٢/١٠٧٧. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، حديث رقم ٦٣٧٦، ٧/١٢١.

[4] سورة الأنفال، آية رقم ٤٦.

المتخالفين عن النزاع والشقاق، ويجمعهم على كلمة سواء؛ ونبذ التفرق والاختلاف، لا يتأتى إلا بالتعامل مع المخالفين وفق المنهج الشرعي، الذي يسعى لاستصلاح أحوالهم في الدين والدنيا؛ ثم إن بعض المخالفين ما إن يرى حسن النوايا وحرص المحتسب على هدايته ونجاته، لا إرغامه وفضحه وهزيمته؛ فإنه يتراجع عن مخالفاته، ويسلك طريق الحق والخير، ويكن في صف أهل الإيمان والصلاح، قال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[1]؛ ولذا أمر الله سبحانه وتعالى بالاعتصام بحبله المتين، وصراطه المستقيم؛ إذ بهذا تتألف القلوب، وتتطهر مما علق بها من الشحناء والبغضاء من أجل الخلاف، وهذه هي ثمرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يجمعها على الحق والخير، قال الله تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، وفي هذا إشارة إلى أن ترك المخالفين وعدم أمرهم ونهيهم، يفضي إلى التفرق والاختلاف إذ تكثر النزعات والنزغات، وتنشق الأمة بذلك انشقاقاً شديداً[3].

---

[1] سورة فصلت، آية رقم ٣٤.

[2] سورة آل عمران، الآيات ١٠٣ ـــ ١٠٥.

[3] التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٤٢/٤، (مرجع سابق).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل مع مخالفين أشداء، أهل غلظة وفظاظة وشطط؛ فما أن رأوا ذلكم التعامل الجم، الذي يظهر فيه حرصه صلى الله عليه وسلم على تقويمهم واستصلاح أحوالهم، حتى تبعه الكثيرون منهم، فأصبحوا في صفه بعد أن كانوا ضده.

فهذا ثمامة رضي الله عنه كان من أشد الناس حقداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أنه كان ينوي قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء به الجيش الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى نجد وربطوه في سارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((**ما عندك يا ثمامة**))؟ فقال: عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت.

حتى كان الغد ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((**ما عندك يا ثمامة**))؟ قال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر.

فتركه حتى كان بعد الغد فقال: ((**ما عندك يا ثمامة**))؟ فقال: عندي ما قلت لك.

فقال صلى الله عليه وسلم: ((**أطلقوا ثمامة**)).

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال: لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم[١].

---

[١] رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، حديث رقم ٤١١٤، ١١٥٨٩/٥. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، حديث رقم ٤٦٨٨، ١٨٥/٥.

فليتنبه المحتسب إلى ذلك، وليسع لقطف ثمرة احتسابه على مخالفيه بكسبهم، وضمهم إلى صف أهل الحق؛ فالنفس البشرية تحب من يُحسن إليها، ويعينها على مقاومة الشر الكامن فيها.

٣. حفظ شأن الأمة بمحاربة الفتن وأهلها.

جاء التحذير من الفتن، وعدم الاستشراف لها، والبعد عن مواطنها؛ فالإنسان ضعيف وعرضة لأن يفتن في أي لحظة، وخاصة في الأزمنة المتأخرة التي تعددت فيها الفتن وتنوعت، وأثرت على الكثير من الناس مما أضعف إيمانهم ويقينهم.

لذا كان لزاماً على أهل الحسبة التمسك بهذه الشعيرة العظيمة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعامل مع المخالفين بما يناسب أحوالهم، حتى تدرأ الفتن، وتندثر، وتضعف، ويسلم الخلق من أثرها.

وفي هذا استجابة لأمر الله جل وعلا، إذ أمر بالتصدي ومحاربة الفتن وأهلها، لئلا يتعرض الجميع لها، فيبتعدوا عن مواطنها، قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾[1]، واتقاء هذه الفتنة يكون بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن[2].

والتعامل مع المخالفين بما يدنيهم من الحق وأهله، أو بما يردعهم من نشر فتنهم وضلالاتهم، له الأثر الكبير في حفظ المجتمع من الفساد وانتشار الفواحش والمنكرات.

فالنبي صلى الله عليه وسلم عندما تعامل مع المخالفين في زمنه تعاملاً يناسب المخالف، ومخالفته، وزمنها، حفظ الله كيان أمته من شر الفتن التي لو تُركت وترك أهلها، لفتكت بالأمة ومزقتها وأضعفت قوتها.

---

[1] سورة الأنفال، آية رقم ٢٥.

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، ٣١٨/١، (مرجع سابق).

ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه أنه قال: غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاريا فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين؛ فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((**ما بال دعوى أهل الجاهلية**)) ثم قال: ((**ما شأنهم**)) فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**دعوها فإنها خبيثة**)) وقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أقد تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**لا يتحدث الناس أن محمداً كان يقتل أصحابه**))[1].

فتم وأد الفتنة في مهدها، التي لو تركت لتداعى المسلمون بقبائلهم وعشائرهم، ولتمزقت الأمة وضعفت، فذهبت قوتها كما قال تعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾[2].

وكذلك كان صحابة النبي صلى الله عليه وسلم في تعاملهم رضوان الله عليهم مع المخالفين بعد وفاته، وخاصة في فتنة منع الزكاة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ولولا فضل الله ثم وقفة هذا الصحابي الجليل لحل بالأمة مصائب ما كانت تستطيع معها القيام بهذا الدين.

فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما ينهى عن دعوة الجاهلية، حديث رقم ٣٣٣٠، ٣/١٢٩٦. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم ٦٧٤٨، ٨/١٩.

[2] سورة الأنفال، آية رقم ٤٦.

بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**))؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه، فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق)).[1] وفي هذا دليل على أثر تعامل المحتسبين مع المخالفين لهم بما يناسبهم، فبهذا الأسلوب الذي تعامل به أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع هؤلاء المخالفين امتثالاً لأمر الله جل وعلا في قوله ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] أطفأ الله نار تلك الفتنة، وحفظ كيان الأمة، التي لو انتشرت لضعف نور الإسلام، ولارتد الكثير من نواحي العرب وغيرهم ممن دخلو فيه.

وفي زمننا هذا وخاصة مع ظهور بعض ممن ينتسب للإسلام ويقدح في العقيدة الصحيحة، أويطالب بنزع الحجاب، والعمل على نشر الاختلاط، إلى غير ذلك من المخالفات الكثيرة؛ فهؤلاء وأمثالهم من المخالفين يحتاجون إلى وقفة جادة في التعامل معهم، والرد على قبائحهم ودعاويهم الباطلة[3]؛ وهنا يجب على أهل الحسبة من العلماء وغيرهم الوقوف أمام هذا التيار الخطير ومحاربة أهل الفتن والضلال، لكي تُحفظ الأمة، وتستمر مسيرة السلامة والنجاة بتمسكها بدينها وعدم الزيغ عنه.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب التمني، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٨٥٥، ٢٦٥٧/٦. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم ١٣٣، ٣٨/١.

[2] سورة البقرة، آية رقم ١٩٣.

[3] أثر الحسبة وجهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ كيان الأمة وسلامة المعتقد، أ.د عبدالله بن محمد الطيار، ٢٦٨/٥، مركز البحوث والدراسات بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤٣١هـ.

٤. دفع العذاب عن النفس والأمة.

وهذا من أجل آثار التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة؛ فعذاب الله جل وعلا وعقابه له أسباب شتى، منها ترك أهل الأهواء والشهوات والبدع والضلالات دون التصدي لهم، وتحذير الناس منهم، بل قد تبلغ العقوبة لعنة الله تعالى كما قال سبحانه ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[1]؛وفي المقابل فإن من أهم أسباب دفع هذا العذاب، هو الإصلاح، قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴾[2] ونجد تأكيد دفع العذاب ظاهراً في هذه الآية، فقد جاءت (لام) الجحود بعد منفى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ﴾ وهذا من آكد أنواع النفي، لأنه أشمل في الزمن، ذلك أن هذه اللام جرت في كلامهم نفياً للفعل المستقبل[3].

وفي ذكر الأهل ووصفهم بالإصلاح ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴾ ما يدل على عظم هذا الأمر، وكبير أثره في دفع العذاب.

والمصلحون المؤمنون مقابل المخالفين المفسدين في قوله تعالى ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ

---

[1] سورة المائدة، الآيتان ٧٨ ــ ٧٩.

[2] سورة هود، آية رقم ١١٧.

[3] الفوائد، لابن القيم، ١٠٦، (مرجع سابق).

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾[1] فإن الله تعالى لا يهلك قوماً ظالماً لهم، ولكن يهلك قوماً يظلمون أنفسهم[2]، يقول تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾[3].

ثم إن استمرار المخالفين على مخالفاتهم وإصرارهم عليها، لا يعفي أهل الحسبة من ترك التعامل معهم والسعي لاستصلاحهم بحسب الأحوال والقدرة، فالله جل وعلا ذكر لنا كيف تحققت نجاة المحتسبين وهلاك مخالفيهم المعاندين المستمرين على سوئهم ومعصيتهم، قال تعالى ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾[4].يقول الإمام الماوردي رحمه الله: ﴿أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ﴾ ((هم: الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ﴿وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ وهم: مخالفيهم الذين يتركون المعروف، ويفعلون المنكر))[5].

لذا فعلى أهل الحسبة المصلحين أن يسعوا لإنقاذ أنفسهم ومجتمعاتهم من هذا العذاب العظيم العام، كما قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾[6]

---

[1] سورة هود، آية رقم ١١٦.

[2] التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٨٧/١٢، (مرجع سابق).

[3] سورة القصص، آية رقم ٥٩.

[4] سورة الأعراف، آية رقم ١٦٥.

[5] النكت والعيون، للماوردي، ٢٧/٢. (مرجع سابق).

[6] سورة الأنفال، آية رقم ٢٥.

يقول الإمام الماوردي رحمه الله: ((وهذا المانع من الظلم: إما عقل زاجر، أو دين حاجز، أوسلطان رادع، أو عجز صاد))[1].

فالانكفاء على الأتباع والموافقين، أو الاكتفاء بالتحذير من هؤلاء المخالفين الظالمين لأنفسهم ومجتمعاتهم دون التصدي لهم بما يناسب أحوالهم، من شأنه أن يعم صاحب المخالفة الواقع في حدود الله، والساكت عنها بعذاب الله جل وعلا إن تُرِك أصحاب الأهواء والشهوات والشبهات دون رادع يردعهم وزاجر يزجرهم.

وفي بيان تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من ترك المنكرات وأهلها، وعدم الأخذ على أيدي المعاندين المستمرين في طغيانهم، إبراز لآثر هذا التعامل في إنقاذ النفس والأمة من عذاب الله وغضبه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم ((**إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه، فلا ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة**))[2] ويقول عليه الصلاة والسلام ((**والذي نفس محمد بيده لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم**))[3] ويقول صلى الله عليه وسلم ((**مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قومٍ استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على من فوقهم فآذوهم، فقالوا: لو أنا**

---

[1] أدب الدنيا والدين، للماوردي، ص١١٩.

[2] رواه أحمد في مسنده، حديث رقم ١٧٧٢٠، ٢٥٨/٢٩. ورواه الطبراني في معجمه، حديث رقم ٣٤٤، ١٣٩/١٧. وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط، انظر: مسند أحمد بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، حديث رقم ١٣٩/١٧٧٢٠.

[3] رواه أحمد في مسنده، حديث رقم ٢٣٣٠١، ٣٣٢/٣٨. ورواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث رقم ٢١٦٩، ٤٦٨/٤. ورواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم ٧١٥٢، ٥٤/١٠. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم ١٣٠٢٦، ١٣٠٣/١.

خَرَقْنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ مَنْ فوقَنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونَجَوْا جميعاً))[1].

إذاً فالتعامل مع المخالفين لأهل الحسبة بالسعي لاستصلاحهم، أو ردعهم من نشر مخالفاتهم وشبهاتهم وضلالاتهم، فيه حفظ المحتسب لنفسه وأمته والمخالف أيضاً من عذاب الله جل وعلا في الدنيا والآخرة.

٥. إقامة الحجة على المخالف والإعذار لله تعالى.

بالتعامل مع المخالفين، وبيان باطلهم، والرد على شبهاتهم، وإظهار الحق لهم، وإبلاغهم إياه إبلاغاً لا شبهة لهم فيه؛ تقام الحجة، ويعذر أهل الحسبة أمام الله جل وعلا؛ وهذا من أجل الآثار التي يحققها المحتسب؛ وفي قصة أصحاب السبت أوضح دليل على ذلك، فقد كانت هناك طائفة أنكرت على العصاة عملهم، واعترضت طائفة أخرى سلبية على هذا الإنكار بما أخبر الله به في قوله ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[2] فقد كان مقصود أولئك المحتسبين: الإعذار أمام الله سبحانه وتعالى بإقامة الحجة عليهم، والطمع في أن يتقوا الله وينيبوا إليه[3].

وكثير من المخالفين يبلغهم الحق، لكنه قد يصل إليهم مشوباً مشوهاً، فيحتاجون إلى كشف الشبهات، وتفنيد الأباطيل، كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ((إن كثيراً

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، حديث رقم ٢٣٦١، ٨٨٢/٢.

[2] سورة الأعراف، آية رقم ١٦٤.

[3] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري، ١٢٦/٢، دار الكتاب العربي ـــ بيروت ـــ، ط١، ١٤٠٧هـــ.

من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام ولم تقم الحجة عليهم، ويمنعهم من الإيمان به شبهات يحتاجون إلى أجوبة عليها))[1]، فبالتعامل معهم، وذلك بتعليمهم ونصحهم وتوجيههم وإرشادهم، تقوم الحجة ويعذر أهل الحسبة.

إن المتأمل في قصص سادة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في تعاملهم مع أصناف المخالفين لهم من أقوامهم، يجد أنهم بعد أن قاموا بواجبهم، بالاحتساب عليهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وبيان الحق وإظهاره لهم، قد أعذروا أمام الله سبحانه وتعالى فأنجاهم، وأقاموا الحجة على مخالفيهم فأهلكهم؛ فها هو نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام لما تعامل مع المخالفين من قومه، وأنكر عليهم فواحشهم المستقذعة التي لم يسبقهم إليها أحد، كما قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾
إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا
عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ
أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ
إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ
﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

وكذلك في تعامل شعيب عليه الصلاة والسلام مع المخالفين الذين ينقصون الناس أموالهم ويسلبونها ببخس المكيال والميزان، كما قال تعالى ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾

---

[1] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، تحقيق: د. علي حسن ناصر وآخرون، ٧٦/١، دار العاصمة ــ الرياض ــ، ط١، ١٤١٤هــ.

[2] سورة الشعراء، الآيات رقم ١٦٠ ــ ١٧٤.

إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[1].

إن المتأمل في هذه الآيات الكريمات، وفي تعامل هؤلاء الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام مع المخالفين لهم، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، يجد أنهم قد أقاموا الحجة عليهم، وأعذروا أمام الله سبحانه وتعالى؛ بدليل أنه سبحانه نجاهم من العذاب وأهلك مخالفيهم، فلم يكن جل وعلا لينجيهم لو أنهم لم يُعذروا بالقيام بواجبهم، و لم يكن ليُهلك مخالفيهم لو لم تقم الحجة عليهم.

بل إن من أعظم النتائج المرجو تحقيقها من بعث الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، هي إقامة الحجة على الناس، كما قال تعالى ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[2]، وفي الحديث ((**لا أحد**

---

[1] سورة الشعراء الآيات رقم ١٧٦ – ١٩١.

[2] سورة النساء، آية رقم ١٦٥.

أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين))[1] يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: ((إن الحكمة من هذا هو إقامة الحجة عليهم، لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين))[2]؛ ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: ((إنه تعالى أنزل كتبه، وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبين ما يحبه ويرضاه، مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعتذر عذر))[3].

فببعثة الرسل قطع الله حجة كل مبطل ألحد في توحيده، وخالف أمره بجميع معاني الحجج القاطعة عذره، إعذاراً منه بذلك إليهم لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه[4].

والشاهد من هذا كله أن في تعامل أهل الحسبة مع المخالفين لهم، ببيان الحق لهم بياناً لا شبهة لهم فيه: إقامةٌ لحجة الله عليهم، امتثالاً لأمره عز وجل، وإعذاراً له سبحانه.

ولكن ينبغي أن يعلم أن إقامة الحجة يتطلب سلوك الطرق الحكيمة، والأساليب المؤثرة، والوسائل العملية النافعة، حتى يقطف المحتسب ثمار احتسابه.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا شخص أغير من الله)، حديث رقم ٦٩٨٠، ٢٦٨٩/٦. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب اللعان، باب وحدثنا يحيى بن معين، حديث رقم ٣٨٣٧، ٢١١/٤.

[2] الروح، لابن القيم، ص١٦٧، (مرجع سابق).

[3] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤٧٥/٢، (مرجع سابق).

[4] جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، ٦٩٣/٧، (مرجع سابق).

الخاتمة:

الحمد لله أوفاه، والشكر له أعلاه، والثناء عليه أبهاه، على ما أنعم وتفضَّل، وأعطى وتكرَّم، وهدى إلى الكتابة في هذا الموضوع، فله سبحانه الحمد والشكر.

وفي نهاية هذا البحث يحسن تسجيل أهم ما توصلت إليه من نتائج مذيلة ببعض التوصيات.

ومن أهم هذه النتائج:

١. أهمية التزام أهل الحسبة بالكتاب والسنة في التعامل مع المخالفين لهم، وأن في هذا الالتزام ثباتٌ وتثبيتٌ لهم على مواصلة عملهم، وحماية لهم من كيد الشيطان، وكذلك استبانة لسبيل المجرمين.

٢. أن المخالفين لأهل الحسبة على أصناف متعددة، ولكل صنف أساليب وطرق في تعامله مع المحتسبين؛ ومعرفة أهل هذه الأصناف وطرقهم التي اشتهرت عنهم في خلافهم وعدائهم للمحتسبين غاية في الأهمية، فهو يساعد على معرفة المنهج الشرعي في التعامل معهم واختيار أنجع الوسائل والأساليب في هذا التعامل؛ فالتعامل مع الكافر يختلف عن التعامل مع المسلم، والتعامل مع المعاند يختلف عن التعامل مع الجاهل وهكذا.

٣. أن المنهج الشرعي في تعامل أهل الحسبة مع المخالفين لهم، قائم على قواعد تحكم عمله، وتحدد مساره، وتوجه القائمين عليه، فهو ليس متروك للأهواء والرغبات والاجتهادات الشخصية.

٤. أن معرفة المنهج الشرعي في التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة والعمل بما فيه، وقاية للمحتسبين ــ بإذن الله ــ من المزالق والتناقضات التي تضر بهم وبهذه الشعيرة العظيمة، حيث يتضمن ما يلي:

أ. العلم والبصيرة في التعامل.

ب. العدل والإنصاف.

ج. التجرد عن الهوى.

د. تقديم حسن الظن ما أمكن.

هـــ. التثبت والتبين.

و. الحرص على انتفاع المخالف.

ز. اعتبار حسنات المخالف وموازنتها بسيئاته.

ح. مراعاة المصالح والمفاسد.

٥. للتعامل مع المخالفين لأهل الحسبة وسائل متعددة لا يمكن حصرها، ولكن لا بد لهذه الوسائل أن تكون منضبطة بالضوابط الشرعية؛ وإن أي تجاهل لهذه الضوابط يعد انحرافاً عن مسارها، وهذه الضوابط كالتالي:

أ. النص على مشروعية الوسيلة في الكتاب أو السنة، أو طلبها من أوجه الطلب.

ب. النص على تحريم الوسيلة في الكتاب أو السنة، أو النهي عنها بوجه من أوجه النهي.

ج. دخول الوسيلة في دائرة المباح.

د. خروج الوسيلة عن كونها شعاراً لكافر.

٦. أن أساليب وطرق التعامل مع المخالفين لأهل الحسبة متعددة ومتنوعة، وتختلف هذه الطرق بتنوع مخالفاتهم وأصنافهم، وبحسب سلطة المحتسب وقدرته، وبحسب الحال والمآل، وهذا يتطلب أن يكون المحتسب ممن يحسن الاجتهاد في اختيار الأسلوب المناسب في هذا التعامل.

٧. هناك معوقات وموانع تصرف أهل الحسبة عن التعامل مع المخالفين، أو تثبطهم عنه؛ ومعرفة المحتسب لهذه المعوقات من الأهمية بمكان، وذلك حتى يحذرها ويبتعد عن أسبابها، وأبرز هذه المعوقات ما يلي:

أ. الرياء.

ب. ضيق الأفق وقصر النظر.

ج. اليأس من صلاح المخالف.

د. الخوف.

هـ. الكبر.

٨. هناك جملة من الآثار والثمار التي يحققها المحتسب في التعامل مع المخالفين، وهي حاصلة أو بعضها لا محالة ــ بعد مشيئة الله ــ إذا كان هذا التعامل وفق مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ ومن أهم هذه الآثار:

أ. إعلاء كلمة الله.

ب. كسب المخالف.

ج. حفظ كيان الأمة بمحاربة الفتن وأهلها.

د. دفع العذاب عن النفس والأمة.

هـ. إقامة الحجة على المخالف، والإعذار لله تعالى.

التوصيات:

من خلال معايشتي لموضوعات البحث، أود ذكر بعض التوصيات:

١. ضرورة العناية بموضوع التعامل مع المخالفين، وتكثيف الدراسات والأبحاث حول جزئياته.

٢. إقامة دورات لأهل الحسبة، تُعنى بتأهيلهم وتدريبهم على التعامل مع المخالفين وفق المنهج الشرعي، وتجلية حقائقه، واستخراج كنوزه وعلومه، حتى يكون عوناً لهم على القيام بمهمتهم كما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولتكون زاداً يتزودون منه كل حين.

٣. أوصي نفسي وإخواني المحتسبين بالالتزام بالكتاب والسنة، وأن نأخذ بتوجيهاتهما بقوة وحرص؛ فتلك هي وصية الله تعالى لأوليائه، ولجميع عباده، وفي امتثالهما طمأنينة وسعادة، ونجاة من الغبن والخسارة.

٤. أقترح على هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تحرص على التأهيل الأمثل لمنسوبيها من المحتسبين ليزدادوا علماً وبصيرة وثباتاً؛ وذلك يكون بربطهم بكتاب ربهم، وسنة نبيهم، وحثهم على ما يكون عوناً لهم على القيام بواجبهم من قراءة للقرآن بتدبر، ومن تأمل لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وهدي المرسلين قبله في التعامل مع المخالفين لهم من أهل الكفر والضلال.

٥. وأخيراً أرى أن من الأهمية بمكان أن تخصص هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريقاً من المؤهلين للاحتساب على المخالفين لهم من أهل النفاق والضلال والانحراف، وأن يتولى هذا الفريق الدفاع عن المحتسبين ببينة وعدل وإنصاف، ويقوم بمسؤولية إظهار الحقائق، وبيان الموقف الصحيح من القضايا التي يدندن حولها أولئك المضلين.

والله أسأل أن يكون هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون في ميزان الحسنات، وأن يعفو ويغفر ما فيه من الزلات، إنه نعم المولى ونعم النصير؛ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجـــع:

١- أثر الحسبة وجهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ كيان الأمة وسلامة المعتقد، أ.د عبدالله بن محمد الطيار، مركز البحوث والدراسات بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤٣١هـــ.

٢- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، مكتبة كرياطة فوترا، سماراغ، إندونيسيا، ط: ب، ت: ب.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار الطباعة المصرية، القاهرة، ط١، ١٢٧٥هـــ.

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود محمد بن العمادي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـــ.

٥- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـــ.

٦- أساليب دعوة العصاة، أ.د عبدالرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٤هـــ.

٧- أسلوب المناظرة في دعوة النصارى، د. إبراهيم الحميدان، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٤هـــ.

٨- أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤١٨هـــ.

٩- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط: ب، ١٩٧٣م.

١٠- آفات على الطريق، الدكتور السيد محمد نوح، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٨هـــ.

١١- الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، صححه وعلق عليه محمد بن حامد الفقي، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٢- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي بن محمد الماوردي، خرج أحاديثه وعلق عليه خالد بن عبداللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

١٣- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالله بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٣٩٩هـ.

١٤- الآداب الشرعية، عبدالله بن محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ب، ١٤١٩هـ.

١٥- الاستقامة، للإمام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٦- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن تيمية، وزارة الشؤون الإسلامية، ط١، ١٤١٨هـ.

١٨- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دققه وحقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٩- البناء الدعوي، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، المنتدى الإسلامي، لندن، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٠- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١ ١٩٨٤م.

٢١- التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية، د. طامي بن هديف البقمي، توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ.

٢٢- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير بخاري، دار عالم، الرياض، ط: ب، ١٤٢٣هـ.

٢٣- الجواب الشافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة، ط١، ١٣٩٢هـ.

٢٤- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، تحقيق: د. علي حسن ناصر وآخرون، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٥- الحرص على هداية الناس، د. فضل إلهي ظهير، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤١٢هـ.

٢٦- الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها، د. فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، ط٦، ١٤١٧هـ.

٢٧- الحسبة في الإسلام، لابن تيمية، توزيع رئاسة البحوث العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢٨- الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب، لعلي بن عوض القرني، مكتبة الرشد، الرياض،ط١، ت: ب.

٢٩- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، د. يحيى بن محمد زمزمي، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٠- الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

٣١- الدعوة إلى الله خصائصها ومقوماتها ومنهاجها، د. أبو المجد نوفل، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.

٣٢- الردود، بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٣- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٤- السبعة في القراءات، لأحمد بن موسى بن مجاهد التميمي، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٣٥- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي بن محمد الصلابي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٧، ١٤٢٩هـ.

٣٦- السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٣٧- السيرة النبوية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ.

٣٨- الصحاح في اللغة والعلوم، نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، تقيدم: عبدالله العلايلي، دار الحضارة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.

٣٩- الصفات الخاصة بالمحتسب، عبدالله بن محمد المطوع، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٤٠- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، ط٣، ١٤١٨هـ.

٤١- العالية معوقاتها ومقوماتها، د. محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط٧، ١٤٢٧هـ.

٤٢- العبودية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد بن زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٦هـ.

٤٣- الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٤- الفوائد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عامر بن علي ياسين، دار ابن خزيمة، ط٢، ١٤١٩هـ.

٤٥- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، دار الفكر ــ بيروت ــ، ط١، ١٤٠٣هـ.
٤٦- القواعد، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط: ب، ١٩٩٩م.
٤٧- القول السديد في مقاصد التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دراسة وتحقيق: المرتضى الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط٣، ت: ب.
٤٨- الكبائر، شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة، ط١، ت: ب.
٤٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٥٠- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ت: ب.
٥١- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨م.
٥٢- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ.
٥٣- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٥٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد المقريزي الفيومي، وزارة المعارف المصرية، ط٢، ١٣٢٥هـ.
٥٥- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٥م.
٥٦- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.
٥٧- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٩م.

٥٨- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٥٩- المنهج السلفي، د. مفرح بن سليمان القوسي، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦٠- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور آل سليمان، دار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.

٦١- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ت: ب.

٦٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تعليق أبو عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٦٣- الهوى وأثره في الخلاف، عبدالله بن محمد الغنيمان، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٦٤- بدائع التفسير، لابن قيم الجوزية، تحقيق: يسري السيد، صالح الشامي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط، ١٤١٤هـ.

٦٥- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد بن علي النجار وعبدالعليم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ت: ب.

٦٦- تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١١م.

٦٧- تاج العروس، محمد الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، مصر، ط١، ١٤٠٦هـ.

٦٨- تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ب، ١٩٩٠م.

٦٩- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٧٠- تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، محيي الدين أحمد بن النحاس، تحقيق: عماد الدين عباس سعيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ.

٧١- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٧٢- تهذيب سيرة ابن هشام، عبدالسلام هارون، دار البحوث العلمية ـ بيروت ـ، ط١، ١٤٠٥هـ.

٧٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

٧٤- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار هجر، ط١، ت: ب.

٧٥- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبدالبر النمري، دار زمزم ـ الرياض ـ، ط١، ت: ب.

٧٦- حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته، أ.د حمد بن ناصر العمار، ط٣، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ١٤٣١هـ.

٧٧- حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ت: ب.

٧٨- خصائص مدرسة النبوة، د. كمال محمد عيسى، دار الشروق، جدة، ط١، ١٤٠٣هـ.

٧٩- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق: عبداللطيف بن عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ب، ١٤١٧هـ .

٨٠- دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للأعراب، حمود بن جابر الحارثي، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٨١- دوافع الاستجابة للدعوة في الكتاب والسنة، د. سعد بن عبدالرحمن الجريد، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٨٢- دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها، عبدالرحمن بن يوسف الملاحي، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٨٣- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٩هـ.

٨٤- سنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ت: ب.

٨٥- سنن الدارمي، تحقيق: فواز بن أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٨٦- سنن النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٨٧- شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. فضل إلهي ظهير، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

٨٨- شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٨٩- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه د. عبدالعلي بن عبدالحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.

٩٠- صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٩١- صحيح الترغيب والترهيب، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري زكي الدين، تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانيي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

٩٢- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥، ت: ب.

٩٣- صحيح سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٩٤- صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٩٥- صحيح مسلم، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: ب، ت: ب.

٩٦- ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، د. مفرح القوسي، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، ١٤٣٠هـ.

٩٧- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٤هـ.

٩٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ط:ب، ١٣٧٩هـ.

٩٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: يوسف الغوش، دار المعرفة، ط: ب، ١٤٢٣هـ.

١٠٠- فقه التعامل مع المخالف، د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي، دار الوطن ـ الرياض ـ، ط١، ت: ب.

١٠١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٠٢- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، ضبطه وصححه: عبداللطيف بن حسن بن عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ب، ت:ب.

١٠٣- لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي، دار بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١٠٤- مجلة بحوث تصدرها الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. محمد بن عبدالله القحطاني، العدد الثاني، ١٤٣٢هـ.

١٠٥- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه، مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، نشر وزارة الشؤون الإسلامية، ط١، ١٤١٦هـ..

١٠٦- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٠٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بن حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.

١٠٨- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

١٠٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

١١٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١١١- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، مادة وسل، تحقيق: شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، لبنان. ط٢، ١٤١٨هـ.

١١٢- مفاتح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

١١٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، دار زمزم، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

١١٤- مفهوم الحرية بين الإسلام والجاهلية، نايف بن علي الشحود، المكتبة الشاملة، ط١، ١٤٣٢هـ.

١١٥- مقدمة ابن خلدون، تحقيق المستشرق الفرنسي إتيان مارك كاترمير، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ت: ب.

١١٦- من صفات الداعية الرفق واللين، د. فضل إلهي، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

١١٧- من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي، دار ابن حزم، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

١١٨- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد بن عبدالعظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي، ط٣، ت: ب.

١١٩- منهج ابن تيمية في الدعوة، عبدالله الحوشاني، دار أشبيليا، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

١٢٠- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٢١- موطأ الإمام مالك، تحقيق: تقي الدين الندوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ.

١٢٢- نصاب الاحتساب لعمر بن محمد السنامي، تحقيق مريزن بن سعيد عسيري، دار الوطن، ط١، ١٤١٤هـ.

١٢٣- نظام الحسبة في الإسلام دراسة مقارنة، عبدالعزيز بن محمد بن مرشد، رسالة ماجستير مقدمة للمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٣هـ.

١٢٤- نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، عبدالرحمن بن نصر الشيزري، تحقيق: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط:ب، ١٤٠١هـ.

١٢٥- ولاية الشرطة في الإسلام، د. نمر الحميداني، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

الفهارس:

فهرس الأحاديث

فهرس المحتويات: